إسرائيليات

- ١ -

تعبير «الإسرائيليات» كثيرًا ما يقرع سمع المسلم، وغير المسلم، إشارة إلى أقاويل أو حكايات أو روايات صدرت عن الإسرائيلية (أى اليهودية) وعن إسرائيليين (أى يهود) مخلوطة ومغلوطة، ماشجت المعتقدات وداخلت الممارسات ومازجت المواضعات الإسلامية؛ حتى صارت عند الكثيرين، ومنهم علماء ومفسرون ومحدثون ووعاظ، صميم العلم وحقيق الفهم، يصعب - إن لم يكن من المستحيل - فصلها عن الفكر الإسلامى النقى الصحيح.

وعلى الرغم من الإشارة بتعبير الإسرائيليات إلى ما يبدو غريبا أو نابيا أو حشويا أو وحشيا من التراث الإسلامى، فإنه لم ينهض من المسلمين فرد أو جمع، مدرسة أو مؤسسة، لاستقصاء هذه الإسرائيليات ووضع قوائم بها وتحديد نظام لها، وتحرى جذورها وتعقب أصولها، حتى يمكن النفاذ إليها، بطريقة علمية صحيحة ونظام منهجى سليم، ثم تتبع طريقة دخولها إلى التراث الإسلامى؛ لاستبانه متى حدث ذلك؟ وكيف تم أمره؟ ونتائجه على الإسلام عموما، وعلى الشخص المسلم بصفة خاصة!.

ونظرا للأهمية القصوى الناتجة عن أثر هذه الإسرائيليات على المعتقدات والممارسات الإسلامية، والتى تجلت بخطورة فى العصر الحديث، فإنه لا يكون هناك مفر من مواجهة المسألة، تأصيلا وتحليلا، وبيانا وعيانا.

الراجح والواضح أن التوراة لم تكتب بواسطة موسى عليه السلام، ولابواسطة غيره حال حياته.. فبعض اليهود يقولون إن الأسفار الخمسة الأول من التوراة، وهى أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية (أو تثنية الاشتراع أى تكرار التشريع) هى أسفار كتبها موسى عليه السلام، فيما عدا الوصايا العشر التى كتبها الإله لموسى فى لوحين، ولذلك فإن هذه الأسفار الخمسة تسمى أسفار موسى، أو البنتاتيك **Pentatich** باللغة اليونانية. غير أن العلماء الثقات (ومنهم يهود) لاحظوا أنه قد وردت فى سفر التثنية عبارات معينة، هى «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى» ٣١ : ٩، «وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكى تموت» ٣١ : ١٤، «وأوصى (موسى) يشوع بن نون وقال (له) تشدد ٣١ : ٢٣، «فمات هناك موسى عبد الرب.. حسب قول الرب، ودفنه (أى الرب) فى الجواء» ٣٤ : ٥. وهذه العبارات، وغيرها مما شاكلها، لا يمكن أن يكتبها موسى بنفسه، إذ أنها تتكلم عنه بصيغة الغائب (أو البعيد)، كما أنه لا يمكن أن يكتب موسى عن وفاته ودفنه، بصيغة الماضى، ذلك الذى كان وحدث.

الرأى العلمى إذن أن موسى لم يخلف لبنى إسرائيل، ومن كان معهم عند الخروج من مصريين (هم على الغالب جماعة اللاويين الذين انحصرت فيهم سلطة الكهانة) إلا اللوحين اللذين أعاد الرب كتابة الوصايا العشر عليها، بعد أن كان موسى قد كسر اللوحين الأولين فى ثورة غضبه على الإسرائيليين. وكان هذان اللوحان يوضعان فيما سمى تابوت الرب، يحمله الإسرائيليون فى روحاتهم وغداواتهم. أما باقى الشريعة فلعلها قد كتبت فى ألواح أخرى متفرقة، لعدم وجود ورق فى صحراء سيناء، أو لعلها كتبت بعد ذلك عندما دخل الإسرائيليون أرض فلسطين بعد فترة طويلة من

موت موسى. أى إن ما دون بعد ذلك، فيما يسمى أسفار موسى، قد تدول شفاهة بين الكهنة اللاويين، يعلمون منه الإسرائيليين ويرشدونهم . ولعل بعضهم كتب لنفسه نسخة خاصة للتذكر والتفكر، كانت فى أوراق متفرقة لا يجمعها جامع ولا يضمها كتاب. ومع الحروب المتوالية التى كان الإسرائيليون يخوضونها، مهاجمين ومدافعين، فقد تابوت الرب بما فيه من لوحى الوصايا العشر، كما ضاعت أغلب الأوراق المكتوبة عن الشريعة، خاصة بعد غزو نبو خذ نصر ملك بابل (ح ٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) لأرض يهوذا (جودايا) وسوقه أغلب الإسرائيليين إلى بابل، حيث ظلوا فترة فيما يعرف بالإسار (أو الأسر) البابلى (٥٨٥ - ٥١٦ ق.م)، الذى انتهى حين غزا قورش الملك الفارسى مملكة بابل وسمح للإسرائيليين بالعودة إلى ديارهم.

خلال فترة الأسر البابلى عرف الإسرائيليون كثيرا من الفكر البابلى فأخذوا عنهم قصة الخلق، وقصة الطوفان (ملحمة جلجميش)، وقصة أيوب (وهو أدومى غير إسرائيلى) وغيرها، كما تأثروا بقانون حمورابى (حوالى ١٧٠٠ ق.م)، وهو يتكون من ٢٧٢ مادة، مكتوبة على قطعة كبيرة من جحر الديوريت الأسود المصقول، بالخط المسمارى، وهو يبدأ بابتهالات تفيد أن إله الشمس (شمش) منح القانون إلى الملك حمورابى ليرعى به سيادة العدل بين الناس (أى شعبه).

كان البعث التاريخى لليهودية فى عهد عزرا (وهو تصحيف لاسم أوزير المصرى). فقد جاء فى التوراة (سفر عزرا) أن عزرا بن حلقيا «صعد من بابل وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل.. عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب.. وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء.. عزرا كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل» ٧ : ١ - ١٢. وأصدر ملك

فارس كتابا إلى عزرا ورد نصه فى السفر المذكور، وفيه «قد صدر منى أمر أن كل من أراد فى ملكى من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم فليرجع.. حسب حكمة إلهك التى بيدك ضع حكاما وقضاة يقضون لجميع الشعب.. من جميع من يعرف شرائع إلهك والذين لا يعرفون فعلموهم. وكل من لا يعمل شريعة إلهك وشريعة الملك فليقض عليه عاجلا..» ٧ : ١٢ - ٢٦.

هذا البعث لليهودية حدث فى عهد الملك الفارسى أعشويروش، الذى جاء بعد قورش وداريوس، أى إنه حدث بعد انتهاء الأسر البابلى بفترة. ويرى عدد من المؤرخين أنه. وقع فى حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، أى ٤٥٠ ق.م (تقريبا). والذى يستفاد من مبانى ومعانى ما جاء فى سفر عزرا أن الشعب اليهودى كان قد نسى كل شريعة موسى، وأن الملك الفارسى أمر عزرا بأن يعلم هذه الشريعة حتى للحكام والقضاة الذين لا يعرفونها، كما أن الملك قد أمر كذلك بأن يعمل الشعب اليهودى بشريعة إله اليهودية (أى الشريعة الموسوية) وبشريعته هو (أى شريعة الملك). فالشريعة من ثم كانت تنسب إلى الحاكم، وهو لليهود إله اليهودية، كما أنه للفارسيين هو الملك. ويعنى ذلك أن الشريعة ليست لفظا ولا منهجا دينيا، مقصورا على المؤمنين وحدهم، لكنها تعنى فى التوراة النظام القانونى والإدارى الذى يطبق فى جماعة معينة أو شعب بذاته. ومن هذا المعنى، يمكن فهم السبب فى أن يقبل الشعب اليهودى شريعتين وأن يرتضى تطبيقهما معا.

لما كان موسى قد عاش، على الأرجح، فى القرن ١٣ ق.م، وكان بعث عزرا لليهودية قد وقع فى منتصف القرن الخامس (٤٥٠ ق.م)، فإن معنى

ذلك أن أسفار التوراة قد كتبت بعد مرور أكثر من ثمانية قرون (٨٠٠ سنة) على وفاة موسى. وخلال هذه الفترة الطويلة، التى كانت الأقوال والأحداث تُروى فيها شفاهة، وتتداول بين الناس سماعا، فإنه ولابد أن يحدث فيها تحريف فى المعانى وتزييف فى المبانى، ولو كان غير مقصود. ذلك أن النص يضعف كلما طال عليه العهد دون تدوين، لما يداخله من تعبير بلفظ غير اللفظ، أو إضافة حرف أو إبدال آخر، أو زيادة الأمانى والرغبات التى كانت أو مازالت تُرجى، أو إعادة وزيادة تكرار صياغته وفقا لثقافة الراوى أو السامع.. وما إلى ذلك. يضاف إلى هذا أن التراث الإسرائيلى، كما هو الشأن مع غيره، لابد خلال فترة طويلة كهذه من أن يمتص كثيرا من العادات المختلفة والحكايات المتباينة والروايات المتداولة مما يكوّن التراثات الشعبية (الفولكلور)، ولو كان ذلك بتعديل وتحوير، يجعلها منسجمة مع تراثه الدينى والقومى. وكان أكثر ما احتوى عليه التراث الإسرائيلى وانطوى عليه النص التوراتى، مقتطفات من التراث البابلى وانتقاءات من التراث المصرى. غير أن المؤمن بما يسمع (فى الثقافة السمعية خاصة) لا يؤتى قدرة التحليل والتأصيل، ولا يقدر على النقد والفحص، ولا يستطيع استبانه الأصيل فى تراثه من الدخيل عليه؛ خاصة وأن تكوين العقل من ثقافة بذاتها وتلوين النفس من تراث معتقدى، يكاد يجعل من المستحيل أن ينفلت العقل من مكوناته أو أن تتحرر النفس من ملوناتها، لأن العقل هو بذاته مكوناته والنفس هى بذاتها ملوّناتها، ولا يمكن أن يحدث انفلات أو انقلاب أو تحرير أو تغيير لمكونات العقل وملونات النفس إلا بجهد عظيم، لا يقدر عليه إلا أولوا العزم والعلم.

فى العصر الحديث، وعندما ترشد العقل البشرى ونما بالعلم والثقافة، فقد قدر على فحص التوراة (حتى من علماء يهود مثل سيجموند فرويد)،

وتحليل ما بها من نصوص، وإثبات صلاتها بالتراث البابلى والحضارة المصرية، وتأكيد تأثرها بالتراث الشعبى، أى الفولكلور، وهو ما سجله العالم الشهير جيمس فريزر فى كتابيه الغصن الذهبى **Golden Buph** والفولكلور فى العهد القديم **Folklore in Old Testament**.

نتيجة لكل هذا التخليط والتشويش والقلقلة والاضطراب فقد وجدت فى الإسرائيلية فكرات وروايات وحكايات غريبة عن الدين بعيدة عن الشريعة، سيطرت على معتقدات الكثير من اليهود باعتبارها حقائق أعطاها لهم الرب، كما هيمنت على معتقدات الكثير من غير اليهود الذين رأوا فى اليهودية التنزيل الأول، والعلم الأكمل.

وعندما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة دخل فى الإسلام بعض اليهود، أظهرهم كعب الأخبار (وكان دخوله فى عهد عمر بن الخطاب) وعبد الله ابن سلام، وكان كلاهما يزعم أنه حبر (أى عالم) فى الكتب (اليهودية). وبعد ذلك دخل الإسلام عبد الله بن سبأ (ابن السوداء) الذى كان له القدح المعلى فى اندلاع الفتنة الكبرى التى أثرت على الإسلام، فى كل جوانبه وشتى نواحيه، ومازالت تؤثر حتى اليوم، وإلى وقت فى المستقبل غير قريب. وربما يكون بعض اليهود قد دخل إلى الإسلام مقتنعا، لكن المحتمل مع ذلك أن يكون قد أسلم نفاقا، وبقصد أن يحاول إفساد الإسلام من الداخل، بدس روايات كاذبة أو حكايات ملفقة أو فكرات مضطربة.. وهكذا، مما قال عنه المسلمون فيما بعد، ومازالوا يقولون، إنه «إسرائيليات» أى مكذوبات، أو موضوعات (من الوضع أى الاختلاق). ولعل الذى ساعد على ذلك أن العرب كانت أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب (كما روى عن النبى فى حديث أخرجه البخارى) وهى من ثم لم تكن

تعرف شيئا عن الكتب السابقة، أى التوراة والإنجيل، كما أن اليهود فى شبه الجزيرة العربية، ومنهم من اعتنق الإسلام، عن أمل أو عن دخل، كانوا يطبقون اليهودية بالمعنى العام الذى يشمل التوراة والتلمود (تعاليم الكهنة والأحبار)، وفى تحرير اقتضته ظروف المعيشة فى شبه الجزيرة.

فرز وفصل هذه الإسرائيليات عن الفكر الإسلامى أمر شديد الصعوبة، إن لم يكن بالغ الاستحالة، للتخالط والتداخل الذى حدث بينهما فى معتقدات كثير من المسلمين، ذوى الثقافة السمعية، الذين تتكون معلوماتهم بطريق الإشاعة لا بأسلوب التحقيق. ومع ذلك فإن هذا العمل ضرورة لا صارف عنها لتنقية الدين وتصفية الشريعة، خاصة وقد بدا أثر هذه الإسرائيليات على العمل الإسلامى فى كل أنحاء العالم بصورة حادة، تتزايد مع الأيام خطورة. على أن تتبع وتقصى هذه الإسرائيليات عمل ضخم، قد يبدؤه فرد لكنه لابد أن يتزايد ويتكامل بجهود كثير من المسلمين المخلصين الثقات.

وها هى بعض الإسرائيليات، وأصولها فى التراث اليهودى بإيجاز مناسب:

١ – **حاكمية الله:** فى سفر التثنية (وهو من أسفار موسى التى سلف البيان أنها كتبت فى عهد عزرا): «متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك.. فإن قلت اجعل على ملكا كجميع الأمم.. فإنك تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب إلهك» ١٧ : ١٤ – ١٥. وفى سفر صموئيل الأول.. «الآن هو ذا الملك الذى.. طلبتموه.. قد جعل الرب عليكم ملكا» ١٢ : ١٤، وكان الملك هو شاول، أول ملوك إسرائيل الذى قيل له «مسحك الرب ملكا على إسرائيل» ١٥ : ١٧. وكان شاول هذا الذى

اختاره الرب، ومسحه ملكا، يحادث الرب ويحادثه الرب فى كل شئون الحكم، أى إن الحاكمية كانت لله، وكان شاول مجرد منفذ لحكم الله. «وقال شاول للرب إله إسرائيل..» ٤ : ٤١. وفيما بعد «ذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردىء من قبل الرب»، «وحل روح الرب على داوود من ذاك اليوم فصاعدا» ١٦ : ١٤، ١٣. وعندما حكم داوود كان دائما يجرى الحوار مع الرب إله إسرائيل، أى إن الحاكمية كانت لله بالفعل وكانت لداوود بالتنفيذ «.. بعد ذلك.. داوود سأل الرب قائلا أأصعد إلى إحدى مدائن يهوذا فقال له الرب إصعد. فقال داوود إلى أين أصعد؟ فقال (الرب) إلى حبرون» صموئيل الثانى: ٢ - ١. «فدخل الملك داوود وجلس أمام الرب وقال من أنا يا سيدى الرب..» ٧ : ١٨ . واختار الرب سليمان ابن داوود ليكون ملكا ويبنى «بيت الله» أى الهيكل فى أورشليم (أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٢) وقال الرب عنه «هو يكون لى ابنا وأنا له أبا وأثبت كرسى ملكه على إسرائيل» ٢٢ : ١٠. وفى ذلك قال داوود «سليمان ابنى الذى وحده اختاره الله (لبناء الهيكل).. لأن الهيكل ليس لإنسان بل للرب الإله» ٢٩ : ١ ، ٢. وكان سليمان، كما كان سلفاه شاول وداوود يتشاور مع الرب فى كل أمور حكمه «تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك؟». أخبار الأيام الثانى ١ : ٧، «وتراءى الرب لسليمان ليلا وقال له.. اخترت هذا المكان لى بيت ذبيحة» ٧ : ١٢، وكان سليمان يقول «هو الرب إلهنا.. فى كل الأرض أحكامه» أخبار أول ١٦ : ١٤، بل قيل للقضاة «لأنكم لا تقضون للإنسان، بل للرب وهو معكم فى أمر القضاء» أخبار ثانى ١٩ : ٦.

هذه النصوص أمثلة كافية لإيضاح المناخ الذى نشأ فيه مفهوم حاكمية الله، والمدلول الحقيقى الذى كان يقصد إليه هذا المفهوم. ففى الفهم

الإسرائيلى، الذى تكون خلال القرون الثمانية التى مضت منذ وفاة موسى حتى كتابة أسفار التوراة بواسطة أو بإشراف عزرا الكاهن الكاتب، صار الإله ملكا يحكم الشعب الإسرائيلى بنفسه، حكما مباشرا، كأنما قد تفرغ لهم وعاش بينهم.. وعندما رغب الشعب فى أن يكون له ملك اختار الإله له شاول ثم داوود ثم سليمان، وهكذا. ومع كل ملك كان الإله يتحاور ويتشاور، ويحكم ويأمر، ويجالس ويؤانس، وما إلى ذلك، مما يفيد أنه كان هو الحاكم الفعلى بينما كان الملك مجرد منفذ ومحض مأمور، يطبق أحكام الرب التى هى فى كل الأرض (أى فى الأرض التى يوجد فيها إسرائيليون) أخبار الأيام الأول : ١٢. بل إن ما يصدر عن القضاة من أحكام تعد فى الفهم الإسرائيلى هى أحكام الإله وقضاء الرب.

ذلك مفهوم قاصر من جانب وخاطئ من جانب آخر. ذلك أنه جاء نتيجة لقصر معنى الألوهية واختزاله فى أن يكون مجرد رب (أو إله) لإسرائيل، فيكون من ثم ملكا لهم أو رئيسا عليهم أو حاكما فيهم، كما هو الشأن بالنسبة لمعنى الألوهية لدى كثير من القبائل والأمم والجماعات البدائية. هذا بالإضافة إلى أن هذا المفهوم قد انبنى على أن الإله يحتار الملك ويمسحه، ثم يأمره وينهاه، ويرشده ويعضده.. بل ويجالسه ويتراءى له كلما أراد الملك، وهو ما لا يمكن أن يحدث من الله رب الأكوان ورب الإنسان، لكنه ممكن الحدوث فى مخيلة تخلط بين الله والجن، أو تدعى ما لم يحدث وما لا يمكن أن يحدث أبدا.

مفهوم حاكمية الله هذا من الإسرائيليات التى نشأت فى عصور الجهل وعهود الظلام، وقد نشأ هذا المفهوم أو أنشئ ليعصم ملوك إسرائيل وقضاتهم فى كل ما يفعلون، باعتبار أن الحكم حكم الله وأن القضاء قضاء

الله، وبذلك لا يمكن أن يوجه مطعن إلى قضاء، ولا يجوز أن يثار نقد عن الحكم. والحقيقة أن الحكم للبشر سواء صدر عن ملك أو عن رئيس، وأن القضاء للبشر سواء صدر عن قاض أو عن حاكم.

على أن ما يفجؤ في النصوص التوراتية السالفة، ذلك النص الذى يتضمن أن روح الرب ذهب عن داوود «وبَغَتْه روح ردىء من قبل الرب». فمؤدى النص أن الرب يمكن أن يبغت مختاره بروح ردىء بعد أن يذهب عنه الروح الجيد، وهو أمر بعيد عن التصديق وأبعد من أن يصدر عن إله (يقال إنه الله ذاته). فكيف يسحب الإله الروح الجيد ويبغت بروح ردىء؟ ومن أين يجىء الروح الردىء؟ وهل لدى الإله روح ردىء أو أن هناك روحًا رديئًا يأتمر بأمره ويعد من جنوده؟ وكيف يأمن المختار أن يذهب عنه الروح الجيد ويبغته روح ردىء؟ وكيف يأمن الناس أن يكون حكم الملك أو الحاكم – الذى يقال إنه حكم الله – قد صدر عن الروح الجيد ولم يصدر عن الروح الردىء؟

لامراء في أن هذا النص، وأمثاله كثير، قد أدخل على النصوص التوراتية عند كتابتها، فى عهد البعث، ربما لتبرير ما جاء في التوراة ذاتها من اقتراف شاول وداوود وسليمان أخطاء، منها أن داوود خطف زوجة أوريا الحيثى (وهو ما وردت إشارة عنه في سورة ص بالقرآن الكريم)، كما أن سليمان عبد آلهة شعوب أخرى ووضع تماثيل (أصناما) لها في بيته. فكأنما يريد كتاب التوراة أن يقولوا إن ما فعله ملوكهم من صواب كان نتيجة وحى الروح الطيب وما فرط منهم من سوء كان أثرا من عمل الروح الردىء، وهو تعليل وتبرير داخل الفكر الدينى عموما.

٢ – **الإله الرب هو وحده المشرع للناس:** يعتقد الكثيرون أن موسى عليه السلام قد صعد إلى الجبل ثم عاد إلى الشعب العبرانى (الذى صار

يسمى فيما بعد إسرائيل) بالوصايا العشر، وأن هذه الوصايا وحدها هى ما أوحى به من الإله (وكتبها له الإله فى لوحين)؛ غير أن الذى يطالع أسفار التوراة الخمسة المنوه عنها، وخاصة أسفار الخروج واللاويين وتثنية الاشتراع، يتبين أنها مليئة بالتشريعات المختلفة والمتنوعة التى شرعها الإله الرب لبنى إسرائيل، من خلال كلامه المستمر مع موسى. ففى سفر الخروج ثمّ عبارة دارجة هى «وكلم الرب موسى قائلا» وبعدها تفيض التشريعات والفرائض والأوامر والنواهى وما إلى ذلك. وكل ما كان يفعله موسى أو يقوله - على ما تذكر التوراة - كان بأمر مباشر من الله.

«قال موسى.. إن الشعب يأتى إلى ليسأل الله. إذا كان لهم دعوى يأتون إلى فأقضى بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه» خروج ١٨ : ١٥ ، ١٦.

وفى التوراة الكثير من الأحكام والفرائض والشرائع، من ذلك على سبيل المثال لا على وجه الحصر: «هذه هى الأحكام التى تضع أمامهم. إذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنوات يخدم وفى السابعة يخرج مجانًا.. إذا باع رجل ابنته أمَةً لا تخرج كما يخرج العبيد.. من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا.. من ضرب أباه وأمه يقتل قتلا.. عينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكى وجرحا بجرح ورضا برض.. إن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم.. فى كل دعوى جناية.. تقدم إلى الله.. فالذى يحكم الله بذنبه يعوض صاحب.. من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك.. إن أقرضت فضة لشعبى الفقير.. فلا تكن له كالمرابى. لا تضعوا عليه ربا.. لا تسب الله.. ولحم فريسة فى الصحراء لا تأكلوا.. لا تقبل خبرا كاذبًا.. لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم.. لا تأخذ رشوة..» خروج ٢١ - ٢٣.

وعن القرابين «ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع.. إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم.. وإذا قرب أحد قربان تقدمه للرب يكون قربانه من دقيق.. كل التقدمات التى تقربونها للرب لا تصطنع خميرا.. وإن كان قربانه ذبيحة سلامة.. يقربه أمام الرب..» لاويون ١ – ٣.

وعن الشريعة «وكلم الرب موسى قائلا.. هذه شريعة المحرقة.. وهذه شريعة التقدمة.. هذه شريعة ذبيحة الخطية.. هذه شريعة ذبيحة الإثم.. هذه شريعة ذبيحة السلامة.. هذه شريعة البهائم والطيور.. (وكلم الرب موسى قائلا).. هذه شريعة الأبرص يوم طهره.. هذه هى الشريعة لكل ضربة من البرص والقرع..» لاويون ٦ – ١٤.

وفضلا عن ذلك، وهى أمثلة، «كلم الرب موسى وهارون قائلا.. إذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرخص كل جسد بماء ويكون نجسا إلى المساء.. لا تأكل نفس منكم دما.. لا تلتفتوا إلى الأوثان وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم.. لا تغضب قريبك ولا تسلبه. ولا تبت أجر أجير عندك إلى الغد.. لا ترتكبوا جورا فى القضاء.. لا تأكلوا بالدم. لا تتفاءلوا ولا تعيفوا.. وكتابة وسم (وشم) لا تجعلوا فيكم.. لا ترتكبوا جورا.. لا فى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل..» لاويون.

«هذه مواسم الرب..» لاويون ٣٣.

يعنى ذلك أن الرب إله إسرائيل كان هو المشرع الوحيد للشعب (الإسرائيلى)، ففى كل ما ورد فى أسفار موسى من تشريعات ووصايا وفرائض وأوامر كان الرب وحده هو الذى يشرعها ويوصى بها ويفرضها ويأمر بشأنها، فقد كان يكلم موسى بها (كما كلم هارون معه أحيانا) وحدد

لهم كل وضع بنفسه وشرع لهم كل حكم بذاته، فلم يشاركه فى ذلك موسى أو هارون، ولم يكن لأى منهما حق التشريع ولا صار للشعب أى حق فى التشريع، ما دام ما قد قيل إن الرب شرعه كان يشمل كل المناحى. ويحكم كل النواحى، فهو يضم المسائل الجنائية والمدنية ومسائل الزواج والطلاق والميراث، كما يضم القواعد المتعلقة بالحروب والهُدَنْ والسلام (فيما يعرف باسم العلاقات الدولية)، وينظم ما يتصل بالتطهير والعلاج والعزل، ويحدد المواسم والأعياد، ويبين طرائق التقدمة والنذر والفدية والتكفير (الكفارة)، هذا بالإضافة إلى نظام التعبد والتقرب إلى الإله، ونظم التعامل الاجتماعية المتصلة بالرق والتحرير (فك الرقبة) وضبط الوزن والكيل والحساب، والعدل عند الحكم.. إلى آخر ذلك، وهو كثير كثير.

جدير بالملاحظة، التى تستفاد من نصوص التوراة، التى سلف بيان مقتطفات منها، أن الأحكام فيها وردت بغير تنظيم أو تبويب أو ترتيب، فالحكم المدنى يعقبه حكم دولى فحكم دينى فحكم اجتماعى ثم حكم جنائى فحكم مدنى فحكم عائلى فحكم أخلاقى ثم يتبدل الترتيب ويتغير النظام دون أى سبب وبغير أى فاصل، ذلك بأنه لا يوجد نظام محدد يضع المسائل الجنائية جميعًا، ثم المدنية كلها، ثم الدولية معا، ثم الاجتماعية وحدة.. وهكذا. مع أن هذا الترتيب موجود بدقة فى قانون حمورابى (١٧٠٠ ق.م) الذى تعلم الإسرائيليون بعض أحكامه ونقلوا منها إلى التوراة. يضاف إلى هذا أن الضمير فى النصوص مضطرب للغاية، فثم نص على لسان الإله إلى موسى وإذا به يتحول إلى خطاب للجماعة ثم يعود إلى خطاب ذاتى ثم يتحول إلى كلام مفرد فى ثناياه كلام جماعى.. وهكذا. ومع أن بعض العلماء يقررون أن هذه الملاحظة سمة عامة لكل اللغات السامية إلا أنها شديدة الظهور كثيرة البروز فى أسفار التوراة، وهى أسفار

سبق بيان أنها كتبت فى عهد البعث التاريخى أيام عزرا الكاهن والكاتب، بعد وفاة موسى بأكثر من ٨٠٠ عام. وفضلا عن ذلك فإن لفظ الشريعة فى التوراة يعنى أصلا، ما تعنيه ألفاظ وسيلة أو طريقة أو أسلوب أو نظام، وهكذا، لكن اللفظ تطور بعد ذلك ليفيد كل ما جاء فى التوراة.

وحفى بالملاحظة كذلك أن الناس الإسرائيليين كانوا – على ما جاء فى التوراة – يقدمون إلى الإله دعاواهم فى الخصومات، فيقضى فيها؛ وهو ما يعنى أن المفهوم الإسرائيلى يجرى على أن الحكم (السياسى) والتشريع والقضاء هو للإله وحده، وليس للناس منه شىء.

هذا المفهوم الإسرائيلى بأن الإله وحده المشرع، وليس لغيره فردا أو جمعا حق التشريع، بدأ واضحا قاطعا فى نص من سفر إشعياء يقول.. «الرب قاضينا. الرب شارعنا (أى مشرعنا). الرب ملكنا..» ٣٣: ٣٣، وهو نص حاسم فى أن الإله الرب هو لإسرائيل المشرع والقاضى والملك، ولا غيره ملك أو قاض أو مشرع.

فالذى يرى أن الله وحده هو المشرع وليس للشعوب أى حق فى التشريع لنفسها إنما يسير فى خطى الإسرائيليات، ويعمل بمنطقها سواء كان يدرى أم لا يدرى.

٣ – الخلط بين الشريعة والفقه: لفظ التوراة يعنى لغة الشريعة، أو منهاج الهداية (بالعبرية). وقد ذكر اللفظ فى التوراة حوالى مائتى مرة، وهو يشير دائما إلى إرادة الإله التى تضع قواعد ووصايا وأوامر وفرائض لتنظيم سلوك الإسرائيليين. ومع الوقت تخصص لفظ التوراة أى الشريعة بأسفار موسى الخمسة التى سلف بيانها. ثم امتد اللفظ لتشمل الشريعة كل أسفار العهد القديم (التوراة).

وعلى ما أنف البيان، فإن ألواح الشريعة فقدت وضاعت من الإسرائيليين خلال فترات الحروب وتحطيم الجيوش الأجنبية لبلادهم، مما أدى إلى أن ينسى الإسرائيليون الشريعة بصورة كاملة أو بشكل نسبى، إلى أن أعيدت كتابة أسفار التوراة فى عهد البعث التاريخى الذى قاده عزرا الكاهن الكاتب. خلال الفترة التى كان الإسرائيليون لا يطبقون فيها أحكام الشريعة فقد خضعوا لأحكام شرائع أخرى كشريعة فارس وغيرها. ووضع الأحبار (العلماء) قواعد جديدة لهم، حتى بعد إعادة كتابة التوراة، رأوا أنها الأنسب والأكثر ملاءمة فى الظروف المتغيرة والأحوال المتبدلة. هذه القواعد التى وضعها الأحبار، ولا يزالون، تسمى بالتلمود (أى التعاليم). وقد تضمنت أحكام التلمود قواعد تتعارض بل وتتناقض مع ما فى توراة موسى من أحكام أدت إلى نسخها تماما، مثال ذلك أن حكم القاتل فى هذه التوراة أن يُقتل ولا يقبل منه ثمن الدم أى الدية، لكن التلمود غير هذه القاعدة تماما وأجاز قبول الدية من المجنى عليه أو ذويه إن كان قد قُتل، والعفو عن القاتل.

ولكى يضفى الأحبار على عملهم حصانة ويجعلوا له قدسية، فقد قالوا إن وحى الإله لا ينقطع عنهم. فكأنما الإله هو الذى وضع أحكام شريعة موسى، وهو الذى ينسخ هذه الشريعة ويغيرها، عن طريق الوحى الذى يشير على الأحبار بالتغيير والتبديل، وكذلك بوضع الأحكام الجديدة التى تلزم لمواجهة ظروف وأوضاع لم تكن موجودة أو قائمة من قبل. وبهذا المفهوم سحب الأحبار لفظ الشريعة على فقههم وعملهم (أى التلمود)، وقالوا عنه إنه الشريعة، ومن ثم أصبحت الشريعة، فى الفهم اليهودى أو الإسرائيليات، تعنى ما ورد فى أسفار موسى (كلام الله) وما صدر عن الأحبار (العلماء) من آراء وأقوال وتفسيرات وتحليلات وتعليلات،

زعما بأنها وحى الإله الذى مازال مستمرا لدى الإسرائيليين، ينطق به أحبارهم (وفى النظرية الصهيونية يتجلى فى أعمال الجيش وأسلحة الجنود).

فالخلط بين ما نزل من الله بالشريعة، وما صدر عن الناس بالفقه، فهم إسرائيلى، وهو من الإسرائيليات التى تطلق الشريعة، لفظا ومعنى، على ما ورد فى التوراة وعلى ما صدر من العلماء (الأحبار).

- ٢ -

لأن أغلب الشعوب والأمم، حتى وقت قريب، وربما إلى العصر الحالى، خاوية من أى معرفة عن تاريخ الفكر الدينى، خالية من أى ثقافة عن أصول الشرائع، فإنها تضرب فى مجالات الاعتقاد على غير بصيرة، وتحكم على أمهات المسائل بمجرد الشائعات.

من ذلك ما يشيع ويذيع، ويَقرّ ويصر، خاصة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين، على أن التوحيد (الإلهى) بدأ باليهودية، وأن الكتب السماوية ابتدأت بالتوراة (أو العهد القديم)؛ ومن ثم فقد شرعت تستقر مقولة بأن الشرائع الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام هى الديانة الإبراهيمية، التى بدأت بإبراهيم عليه السلام، ثم تسلسلت فى نسله، حتى تفرعت من إسحاق ويعقوب (إسرائيل) إلى موسى ثم داوود وسليمان، حتى السيد المسيح؛ كما أنها تفرعت من إسماعيل إبن إبراهيم والأخ غير الشقيق لإسحاق إلى محمد ﷺ. وقد أدى هذا الفهم إلى أن يعتقد الكثير من اليهود والمسيحيين والمسلمين أن التوراة، واليهودية، تحتوى على أصول الدين وصميم الشريعة. وقد حال هذا الاعتقاد بينهم وبين أى فحص محايد للفكر الإسرائيلى والتراث اليهودى، الذى انزلق إلى كثير من الغلط وانحدر إلى وفير من الخطأ، وكون ما يسمى بالإسرائيليات: وهى حكايات وروايات وعبارات وفكرات، مغلوطة ومخلوطة، داخلت الفكر الدينى فى عمومه، وناسجت البيان الشرعى فى صميمه؛ فأصبح تقييمها تقييما سليما أمرا

شديد الاستحالة، كما صار عزلها عزلا آمنا، شأنا فى حاجة إلى علم غزير وعزم شديد.

ومع كل هذه المحاذير وتلك المخاطر: فلابد من التصدى لعمل من نتائجه أن يؤدى إلى تنقية الدين وتصفية الشريعة، فينزه رب الأكوان ويحرر كل الإنسان.

وها هى ثم متابعات للإسرائيليات:

٤ - **الخلاص يكون بتطبيق الشريعة وحدها**: تضمنت كتب موسى الخمسة، وخاصة سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر التثنية (أى الثانى أو تكرار التشريع)، مما سمى بالشريعة، أحكاما كثيرة شديدة التنوع والتفصيل والتكرار، فيما يتصل بكل نواحى الحياة وشتى مناحى المعيشة، فى المسائل المدنية، والمسائل الجنائية، ومسائل الأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والمواريث)، ومسائل العلاقات الدولية (كالحرب والهدنة والسلام)، وأمور العبادات، وأوضاع التقدمة والنذور، وحالات الأعياد والمواسم وطريقة الاحتفال بها، وأساليب التطهير والعلاج والعزل.. إلى غير ذلك. هذا بالإضافة إلى المبادئ الأخلاقية التى وردت فى الوصايا العشر وفى غيرها؛ وإلى أن موسى كان يتكلم مع الإله دائما فى كل ما يعن له من أمور وما يطرأ على الجماعة من مشاكل فيجد الحل ويأخذ الحكم. من كل ذلك أصبحت الشريعة هى النظام السياسى أو الاجتماعى والقانونى للجماعة الإسرائيلية، وصار من المتعين عليهم، وهم قلة تائهة فى أرض سيناء، أو وهم غرباء يحاربون فى أرض فلسطين، أن يتمسكوا بها ليتماسك بنيانهم الاجتماعى، وتشتد قواهم الذاتية، وتتضافر روابطهم القبلية. أسس هذا الفهم وأكد عليه اعتقادهم بأن الإله الرب هو الحاكم لهم

والمشرع فيهم والقاضى بينهم، أى أن جماعتهم هى جماعة الرب بالمعنى الحرفى (تثنية ٢٣ : ١)؛ (جماعة الله. نحميا ١٣ : ١).

جاء فى التوراة «.. يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أنا أعلمكم لتعملوها لكى تحيوا.. لا تزيدوا على الكلام الذى أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكى تحفظوا وصايا الرب..» تثنية ٤ : ٢ ، ٣، «.. أحب الرب إلهك واحفظ حقوقه وفرائض وأحكامه ووصاياه كل الأيام» تثنية ١١ : ١. «انفصلوا من شعوب الأراضى إلى شريعة الله» نحميا ١٠ : ٢٨، «شريعة إلهه فى قلبه» مزامير ٣٧ : ٣١ «اصغ يا شعبى إلى شريعتى.. (آخرون) لم يحفظوا عهد الله وأبوا السلوك فى شريعته» مزامير ٧٨ : ١ - ١٠. «يقول الرب.. تركوا شريعتى ولم يحفظوها.. أطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها» ارميا ١٦ : ١١ - ١٣.

الشريعة فى اليهودية، خلافا للوضع فى أى شريعة أخرى، شريعة شمولية منذ البداية، لا بحسب ما تحولت إليه أو انتهت عنده؛ ذلك أنها ذات وضع خاص مادامت هى النظام السياسى والإدارى والقانونى والقضائى والاجتماعى الذى يحكم به الرب الإله شعب إسرائيل، أو جماعته هو، جماعة الرب أو جماعة الله. وبهذا المعنى فإنها كانت ثم صارت ثم دامت بما يشبه الجنسية **nationality** فى اللغة القانونية المعاصرة، إذ على الإسرائيلى أن ينفصل عن شعوب الأراضى إلى شريعة الإله (الله)، فتكون هذه الشريعة جنسية له تميزه عن هذه الشعوب، وتكون هى نظام حياة الجماعة، وتكون هى الخلاص للفرد وللشعب معا. وأى مخالفة للشريعة تعد من ثم تعديا على الله، الحاكم الأوحد للجماعة، كما تعد انسلاخا من جماعة الله إلى جماعة أخرى (يقال إنها وثنية)، أى

إن هذا التعدى يعتبر كفرًا والحادا وتخليا عن الجنسية الإسرائيلية، مع كل ما يتتابع عن ذلك ويتأدى إليه من نتائج.

وعندما قدم الأحبار (العلماء) آراء وأفكارا وتفسيرات وممارسات تخالف وتنسخ أحكام الشريعة الأصلية، شريعة موسى، فإنهم قالوا إن التعاليم (التلمود) التى قدموها حدثت بوحى من الإله، وأنها هى أيضا شريعة، فاتسع لفظ الشريعة ليشمل التلمود (التعاليم) الذى قدمه العلماء (الأحبار)، والذى أصبح هو الآن شريعة اليهودية، أشد أثرا وأكثر فاعلية من شريعة موسى ذاتها. وبهذا ظل كل ما جاء فى التوراة عن تطبيق الشريعة للنجاة قائما نافذا، بعد أن صار مضمونها ما تنطوى عليه التعاليم (التلمود)، بل وكذلك عندما قدمت الأيديولوجيا الصهيونية تفسيرًا آخر، مؤداه أن جيش الدفاع الإسرائيلى هو الذى يفسر بعمله أحكام الشريعة.

٥ – الإسرائيليون هم جماعة الرب، والإله يجمعهم على قلب واحد:

فى الفهم الإسرائيلى أن الإله الرب اختار شعب إسرائيل وجعلهم جماعة الرب، جماعة الله، وهو من ثم لابد أن يجمعهم على قلب رجل واحد ليحقق بذلك أهدافه، خاصة وقد كانت تلك الأهداف فى المرحلة الأولى تقتضى إعلان الحرب على أهالى وسكان المناطق التى سوف يدخلون إليها فى أرض فلسطين، فيطردونهم أو يبيدونهم، ليقيموا بدلا منهم فى أرض يسكن فيها الإله الرب بينهم، فلا يشاركهم فيها غير إسرائيلى. (وأسكن فى وسط بنى إسرائيل) ملوك أول ٦ : ١٣.

جاء فى التوراة عن ذلك «يد الله فى يهوذا.. فأعطاهم قلبا واحدا» أخبار الأيام الثانى ٣٠ : ١٢، «إسرائيل بقلب واحد» أخبار الأيام الأول ١٢ : ٣٨ «.. وقال لهم (داوود).. يكون لى معكم قلب واحد» أخبار الأيام الأول ١٢ : ١٦.

إن الجماعة الإسرائيلية كانت منذ البداية، وإلى وقت بعيد، جماعة حرب، تعيش ظروف الحرب التى تشنها على سكان الأرض التى يعتقدون أن الإله الرب كتبها لهم، ووعد آباءهم بها. وفى ظروف الحرب ينبغى على الجماعة أن تتماسك وتكون على قلب رجل واحد، حتى لا تؤدى الخلافات والمنازعات والمنافسات إلى توهينها أو شق صفوفها بما يسمح للأعداء بأى نفاذ إلى الجبهة الداخلية، أو أى كسب، نتيجة ضعف فى الجماعة، لا أثرا لقوة عندهم. ويظهر ذلك بوضوح فى موقف تجمع فيه الإسرائيليون لمحاربة أعدائهم فقيل فى ذلك «فخرج جميع بنى إسرائيل (للحرب) واجتمعت الجماعة كرجل واحد» قضاة ٢٠ : ١، وكان جميع الإسرائيليين آنذاك «متحدين كرجل واحد» قضاة ٢٠ : ١٢، «اجتمع الشعب كرجل واحد» عزرا ٣ : ١.

غير أن هذا الإجماع الدائم، الذى يلغى أى رأى معارض. يمنع أى فعل مخالف ويجعل من الجماعة كتيبة جنود، تؤمر فتطيع، وتساق فتخضع، وتحكم فتصدع، يتعين أن يكون مقصورا على وقت الحرب، محدودا بظروف القتال. بل وحتى فى هذه الحالات يجوز إبداء رأى معارض أو أداء فعل مخالف، ولكن بطريقة معينة وبوسيلة مرسومة، تضمن عدم اندفاع القائد أو الرئيس فى خطأ وتحمى الجماعة من رأى جانح أو فعل جامح أو عمل جارح. أما عندما تصير القاعدة العامة فى الجماعة، فى كل حين وفى أى حالة، فى كل مكان وفى أى زمان، أن تكون الأمة على قلب رجل واحد، يقودها رأى مفرد، ويتحكم فيها قائد فرد، وتلجمها آراء مسبقة، وتشلها فتاوى معلبة، فإنها بذلك تكون قد جعلت للشمولية أساسا من الدين وأقامت للدكتاتورية صرحا من الشريعة.

٦ – الحروب بكل ما فيها من فظائع هى لله، وهى أمر الإلـه وعملـه:
فى الفهم الإسرائيلى أن الإله الرب رب الجنود (وهى فى الأصل الجنود السماوية أو الذين ينذرون أنفسهم لله لكنها أصبحت تعنى جند الحرب).. وفى وصف الإله تقول التوراة «الرب رجل الحرب» خروج ١٥ : ٣، وفيها كذلك على لسان الإله: «إذا سننت سيفى البارق وأمسكت بالقضاء يدى أرد نقمة على أضدادى وأجازى مبغضى. أسكر سهامى بدم ويأكل سيفى لحما بدم القتلى والسبايا ورؤوس قواد العدو» تثنية ٣٣ : ٤١ ، ٤٢.

ولما كانت الأرض الموعودة أو أرض الميعاد ، هى ملك الله (لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى) لاويون ٢٥ : ٢٣ ، فإن الحرب التى يعلنها الإسرائيليون على سكان وأهالى هذه الأرض ليبيدوهم فيستوطنوها ، هى حرب من أجل الله ذاته صاحب الأرض . وفى ذلك تقول التوراة (الحرب ليست لكم بل لله) أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ١٦ ، وحين يحارب بنو إسرائيل حربا هى لله وليست لهم ، فإن الله يحارب عنهم (الرب يقاتل عنكم) خروج ١٤ : ١٤ ، (الرب حارب عن إسرائيل) يشوع ١٠ : ١٤ ، ٤٣ ، (إلهنا يحارب عنا) نحميا ٤ : ١م .

هذه الحروب ، حروب دينية وحروب مقدسة ، هى عمل (أو جهاد) فى سبيل الله ، ومن يمت فيها فقد مات من أجل الإله الرب . وفى سبيل تحقيق أهدافه فى إخلاء الأرض من ساكنيها وتوطين آخرين فيها . ومفهوم الحرب الدينية أو الحرب المقدسة ، تحقيقا لما يعتقد المقاتل أنه أمر الله ، هو من أخطر الفكرات الإسرائيلية التى ينبغى تفنيدها وتقويضها، لصالح الدين ولصوالح الإنسانية . هذا بالإضافة إلى أن نفى هذا المفهوم يقتضى بالتالى ، أو يكون نتيجة لازمة ، للنفى القاطع الجازم بأن الله رب الأكوان

ورب الإنسان رجل حرب ، ورب جنود وقتال ، يتغذى سيفه بالدماء والأشلاء . إنه إله المحبة رحمان رحيم ، لكل الناس ، فى كل زمان وفى أى مكان ، لا يقتل ولا يحارب ولا يؤذى ، وإنما يهدى ويغفر ويرحم .

ويتأدى عن فكرة أن الأرض للإله يورثها من يشاء من الإسرائيليين أن الرب الإله اختار سليمان ابن داوود ليكون ملكا على الشعب ويبنى بيت الله فى أورشليم (أور = مدينة ، شاليم = السلام ، أى مدينة السلام) ، وقد حدد له مكان البيت وشكل الهيكل ونظام البناء ، ومن ثم أقيم هيكل سليمان المسمى بيت الله ، ثم (بيت الرب امتلأ سحابا .. لأن مجد الرب ملأ بيت الله) أخبار الأيام الثانى ٥ : ١٤ . بهذا صار الإله الرب حالا بمجده فى بيته وصارت أورشليم مدينة مقدسة .. محظور على غير اليهودى أن يدخلها أو يقيم فيها (يا أورشليم المدينة المقدسة.. لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف (أى غير مختتن الغرلة) ولا نجس (أى غير مؤمن بإله إسرائيل حتى ولو كان مؤمنا بالله) .

٧ - **أى قول وأى فعل من الشخص قد يعد حربا لله** : فى الشريعة التى تنبنى على المحبة أساسا، تقوم العلاقة بين الله والإنسان على المحبة دائما ، وتكون مفردات الحديث عن هذه العلاقة أو تحديد سلوك الإنسان أو الحكم على أخطاء الفرد متداولة على معانى المحبة وما يتصل بها من آيات . وفى الشريعة التى تستقيم على الرحمة أصلا، تستقر العلاقة بين الله والإنسان على الرحمة أبدا . وتكون مفردات الحديث عن هذه العلاقة أو تقويم سلوك المرء أو تغيير أخطاء الناس متساوقة على معانى الرحمة وما يلتحق بها من عبارات . أما فى اليهودية حيث ترتكز الشريعة على الحرب ، ويعتبر الإله الرب رجل حرب ، ويكون الشعب مأمورا دائما بأن يقاتل فى حروب الله ، فقد جرى التصور بأن هذا الشعب ، يحارب

الله ذاته ، ولعل المقصود بالحرب فى ذلك إما المعاندة العنيفة وإما المغالطة الأسيفة وإما المخالفة الضعيفة ، فأى فعل وأى قول ، مهما كبر أو صغر ، تضخم أو هان ، صدر عمدا أو حدث عفوا، يمكن أن يعد محاربة لله ، ما دامت هذه المحاربة تشتمل كل أفعال الحرب ، وليست واضحة محددة بصورة جامعة مانعة ، يمكن بيانها بدقة ويستحيل إضافة أى شىء إليها دون سند شرعى . جاء فى التوراة (يا بنى إسرائيل لا تحاربوا الرب إله آبائكم لأنكم لا تفلحون) أخبار الأيام الثانى ٣ : ١٢ .

الاتجاه الذى تسرب إلى المتطرفين فى أى شريعة، وترشح إلى المتشددين فى أى جماعة ، يزعم أن أى مخالفة لهم فى الفعل أو القول ، وأى رأى لا يرضون عنه وأى فعل لا يسرون منه ، هو محاربة لله ، تقتضى الاغتيال باسم الله وتبرر القتال بنص الشريعة ، هذا الاتجاه منزع إسرائيلى ومدفع من الإسرائيليات ، غزا عقول المتطرفين دون دراية منهم ، واحتل نفوس المتشددين بغير بيان صحيح .

٨ – **لا ولاية لغير اليهودى على اليهودى** : ورد فى سفر التثنية (وهو من أسفار موسى) (لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا (أى يلى أمرك غير إسرائيلى) ليس هو أخاك (أى ليس إسرائيليا) ١٧ : ١٦ . وفى سفر عزرا (محيى الشريعة) (انفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة (أى غير الإسرائيلية)). ١٠ : ١٢ ، وفى سفر نحميا (انفصلوا عن شعوب الأراضى إلى شريعة الله) ١٠ : ٢٨ .

مفاد هذه النصوص ، وهى لدى الإسرائيليين فروض ، هى الشريعة التى كانت دائما محور حياتهم ومأمل نجاتهم ؛ أنه لا ولاية لغير اليهودى على اليهودى . ذلك أنه لا ينبغى على الإسرائيليين أن يقبلوا ملكا أو حاكما

أورئيسا عليهم ليس إسرائيليا ؛ لأنهم بذلك يولون الأغلف (غير المختتن ، كناية عن عدم الطهارة) والنجس (غير المؤمن بإله إسرائيل بمفهومه المرسوم فى التوراة) ولاية عليهم ، وهو ما لا يجوز شرعا ، لأن التوراة ، وهى الشريعة ، تنهى عن ذلك ، بما يرتب وزرا فى أعناقهم إن هم اقترفوه أوقبلوه . وقد يعتبر الوزر حربا للإله الرب يقتضى الهلاك والإعدام .

ولأن الزواج ولاية قوامها صداقة بين الزوج وزوجه ، وبين أهل الزوج وأهل الزوجة ، فقد حظر على الإسرائيليين أن يتزوج أحدهم الغريبة غير الإسرائيلية ، حتى لا تقوم ولاية، أى صداقة، بين إسرائيلى وغير إسرائيلى . خاصة وأن الأمومة فى ذاتها ولاية تربية وتنشئة وتقويم ، مما يجعل من غير الإسرائيلية وليا على ابنها الإسرائيلى .

بهذا فرضت قاعدة (لا ولاية لغير اليهودى على اليهودى) أن يمنع اليهود غير اليهود من الإقامة بينهم ، أو أن يقيموا هم فى أماكن خاصة بهم، فى المدن التى هاجروا إليها وتشتتوا فيها ، بما يعرف باسم (الجيتو) ؛ حيث ينعزلون عن الناس جميعا . ويلتصقون بالشريعة حتى بعد أن صارت هى تعاليم الأحبار أى التلمود. وأدى هذا المسلك إلى أن يكون كل يهودى، يتبع تلك القاعدة ، فى نفسه جيتو خاصا، منعزلا عن الناس جميعا، منفصلا عن الإنسانية بأسرها .

وهذه القاعدة هى التى أورثت اليهود عداوة شديدة مع كل شعوب العالم ، كما أنها أحدثت اضطرابا شديدا فى تاريخ البشرية، وجلبت على الإسرائيليين مصائب وأهوالا فظيعة .

مثال ذلك أنه بعد ما أمر قورش الملك الفارسى إثر أن غزا بابل بأن يعود الإسرائيليون من أسرهم إلى أرض جودايا (فلسطين) ثارت كل القبائل فى

المنطقة وحرروا كتابا إلى الملك أحشويروش (الذى تلا قورش وداريوس فى ملك فارس) ورد نصه فى سفر عزرا يقول (.. ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا قد أتوا إلى أورشليم ويبنون المدينة العاصية الردية وقد أكملوا أسوارها (وهم) لا يؤدون جزية ولا خراجا ولا غفارة فأخيرا تضر الملوك . والآن بما إننا نأكل ملح دار الملك ولا يليق بنا أن نرى ضررا للملك لذلك أرسلنا فأعلمنا الملك لكى يفتش فى سفر أخبار آبائك فتجد فى سفر الأخبار وتعلم أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد . وقد عملوا عصيانا فى وسطها منذ الأيام القديمة لذلك أخربت المدينة . ونحن نعلم الملك أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب فى عبر النهر (أى فى منطقة أرض فلسطين) ٤ : ١٢ - ١٦ .

هذا نص يفيد بوضوح أن مقطع النزاع بين اليهود وغيرهم ، وأساس ما ألحق بهم من خراب ودمار على مدى التاريخ ، كان قاعدة عدم الولاية لغير اليهودى وليس مبدأ عدم عبادة آلهة أخرى غير إله إسرائيل . ذلك أن الإله فى العهود القديمة كان دائما فى مفهوم الشعوب وتقدير الملوك ، إلها خاصا بالقبيلة أو الشعب أو المدينة ، مما لا يوجد لديهم أى ضرورة لفرضه على غيرهم ، ما دام الإله خاصا بهم وحدهم . وحتى ولو نصرهم على كل هؤلاء الغير فقد كانوا يرون أن ذلك نصرا خاصا لهم من إلههم أو ميزة لهم من معبودهم الذى لا ينبغى أن يشاركهم أحد فى عبادته . وهذا المفهوم هو المستفاد من أسفار التوراة ذاتها ، إذ كان يرد التعبير دائما بأن الإله الرب إله إسرائيل أكبر من باقى الآلهة ، وأنه رب الأرباب وإله الآلهة ، بما يعنى أنه كان فى التقدير الإسرائيلى إله قبلى ، خاص بالإسرائيليين وحدهم ، وأن وجوده لا ينفى وجود آلهة القبائل الأخرى وأرباب الشعوب المغايرة ، لكنه يتفوق عليهم إذ ينصر الإسرائيليين وينتصر لهم . وأول نص

مكتوب يؤكد أن الله رب الناس جميعًا ، ليس إله قبيلة معينة . ولا هو رب وطن خاص ، ذلك النص الذى جاء فيما يسمى صلاة اخناتون الكبرى (١٣٦٥ - ١٣٥٣ ق .م) إذ أشار اخناتون الفرعون المصرى إلى أن الإله إله للناس كلهم فى جميع البلاد ، سوريا وبونت (الصومال) والنوبة ومصر .

وامتناع الإسرائيليين عن قبول ولاية غير الإسرائيلى يؤدى إلى عصيان أى سلطة أخرى والامتناع عن دفع الجزية والخراج والضرائب مما يدفع الملوك والحكام إلى فرض الولاية بالقوة ، الأمر الذى أدّى إلى تخريب أورشليم فى عهد نبوخذ نصر الملك البابلى ثم إعادة تدميرها تماما سنة ٧٠م على أيدى الرومان .

وفى الأناجيل ما يشير إلى صحة هذا النظر، ذلك أن الفرّيسيين (وهم فرقة من اليهود) دسوا على السيد المسيح من يسأله بخبث للإيقاع به : لمن نعطى معاملة الجزية (أى النقود) ؟ وقد أدرك المسيح الشرك المنصوب له ، لأنه إن قال تُعْطى لقيصر فقد أجاز خضوع اليهود إلى ولاية غير اليهودى ، وإن قال لا تعطى لقيصر فقد كان عاصيا للسلطة بما يستوجب إعدامه . حينذاك طلب من السائل أن يُريه معاملة الجزية (أى قطعة النقد) ، وإذ قدم إليه القطعة وعليها صورة قيصر سأله السيد المسيح : لمن هذه الصورة ؟ فأجاب السائل لقيصر . رد السيد المسيح قائلا : اعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . وهى إجابة بالغة اللباقة واللياقة ، فالمال لقيصر والقلب لله ، وبذلك أفلت السيد المسيح من شرك بالغ الوضوح فى أن يتعلق بولاية غير اليهودى على اليهودى ، ولا يتصل بعبادة إله آخر (يقال إنه قيصر) دون عبادة الله.

٩ -**الملوك أنبياء والأنبياء ملوك** : فى التوراة نص يقول (آمنوا بالرب إلهكم فتأمنوا ، آمنوا بأنبيائه فتفلحوا) أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٢٠ . ولكن من هم الأنبياء فى مفهوم التوراة ، أولئك الذى يؤدى الإيمان بهم إلى الفلاح ؟

فى التوراة خلط شديد واضطراب بالغ فى شأن النبوة والأنبياء . فقد كان أول ملوك لإسرائيل : شاول ثم داوود ثم سليمان ، اختارهم الإله الرب وكان يحادثهم ويحاورهم ويرشدهم ويوجههم رغم أنهم ملوك وليسوا أنبياء ، وقد حدث أن تحول شاول إلى متنبىء ، فذهبت عبارة دارجة تقول باستنكار أو استعجاب (أشاول أيضا بين الأنبياء ؟) وتلا داوود مزامير ، سميت فى العربية زابورا ، روى أن الإله الرب أوحى له بها ، وصارت جزءا من التوراة ، مما أدى إلى اعتبار داوود نبيا عند المسيحيين والمسلمين ، مع أنه ما زال لدى الإسرائيليين يعد ملكا فقط ، ولأن الإله الرب اختار سليمان لبناء بيته ، هيكل سليمان ، فقد صار سليمان يعد نبيا عند كثيرين ، مع أنه عند الإسرائيليين مجرد ملك كذلك .

وعلى الرغم من أن الإله الرب كان دائما مع شاول وداوود سليمان ، فقد ورد فى التوراة أن (الروح الردىء من قبل الله اقتحم شاول) صموئيل الأول ١٨ : ١٠ ، كما جاء فيها أن داوود خطف زوج أوريا الحيثى ، وهى سقطة لا يقع فيها من يلازمه الإله الرب فيعصمه ، هذا بالإضافة إلى أنه ثم نص يقول (فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داوود قائلا امض واحص إسرائيل ويهوذا) صموئيل الثانى ٢٤ : ١ ، بينما جاء فى نص آخر عن نفس الواقعة (ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داوود ليحصى إسرائيل) أخبار الأيام الأول ٢١ : ١ . فضلا عن ذلك فإن الثابت

من التوراة أن سليمان (أحب.. نساء غريبة كثيرة .. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب .. وذهب وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين .. وعمل سليمان الشر فى عينى الرب .. فغضب الرب على سليمان). ملوك أول ١١ : ١ - ٨ .

من هذه النصوص الثابتة فى التوراة يقوم خلط لا صارف عنه بين المُلْك والنبّوة ، وبين إله إسرائيل والشيطان .

فالملوك شاول وداوود وسليمان صاروا أنبياء، يلازمهم الإله الرب، ويوصَى إليهم ، وهو ما كان من اللازم أن يستتبع عصمتهم من الخطأ أو حتى حفظهم من أن يقعوا فى شراك الوثنية، وعبادة آلهة أخرى . وإلى ذلك يلاحظ أنه قد دخل على شاول روح ردىء من عند اللّه ، وأن التوراة تذكر مرة أن الإله هو الذى طلب من داوود أن يحصى شعب إسرائيل ، كما تذكر مرة أخرى أن الشيطان هو الذى أغواه على ذلك ، وهو أمر يثير البلبلة والاضطراب ، فهل لدى الإله روح جيد وروح ردىء ؟ . وهل الإله (المذكور فى نصوص التوراة) متداخل مع الشيطان ؟ وكيف يخرج من الإله روح ردىء ، وكيف يكون الإله هو الشيطان ؟ وهل يأمن ملك أو يثق نبىّ أو يؤمن فرد - من هذا التداخل والتخالط - أن من يُوحى هو الإله الرب ، وأن الذى يلازم روح صالح ، فلا يداخله شك فى أن الذى يوحى هو الشيطان وأن الذى يباغت روح ردىّ ؟ .

وعلى صعيد آخر،فإن التوراة تقرر أنه(فى شفتى الملك وحى. وفى القضاء فمه لا يخون) أمثال١٦ : ١٠ ،كما تنص على أن (الوحى هو الرئيس فى أورشليم وكل بيت إسرائيل والذين هم فى وسطهم) .حزقيال١٢ : ١٠ ،

وفى هذا النص وذلك فريضة (وكل شىء فى التوراة فريضة) بأن كل من يوحى إليه فهو الرئيس ، كما أن كل ما يقوله الملك فهو وحى، وهو وضع يجعل من كل ملك نبيا ومن كل نبىّ (فى إسرائيل) ملكا، الأمر الذى صيّر ما قيل عن شاول قولا دارجا ، إذ يقال دائما عن كل من يتنبأ فى إسرائيل ، ملكا كان أم نبيا. (أشاول أيضا بين الأنبياء)؟ .

ومع ذلك فإن التوراة تؤكد أن الوحىَ قد يكون كذبا وغواية ، على نحو ما يبين من النص التالى (فقال الرب من يغوى؟ فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا ، ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه . وقال له الرب بماذا ؟ فقال أخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه . فقال (الرب) إنك تغويه وتقتدر ، فاخرج وأفعل هكذا) . الملوك الأول ٢٣ : ٢١ – ٢٢ .

بل إن الإله الرب يقول بذاته أنه أضل الناس وأفسدهم (وأعطيتهم فرائض غير صالحة وأحكاما لا يحيون بها ونجّستهم بعطاياهم) حزقيال ٢٠ : ٢٥ ، فكيف يضل الإله الرب الناس فيعطيهم فروضًا غير صالحة وأحكاما تميت ولا تحيى وعطايا تنجّس ولا تطهّر ؟ أفلا تكون فى ذلك بلبلة شديدة وقلقلة بعيدة لا تميز الصالح من الطالح ، ولا الذى يميت من الذى يحيى ، ولا النجس من الطاهر ؟ وما الذى يفعله الناس إزاء فكر بهذا الاضطراب ، وفروض بهذا الاختلاط ، وعطايا بهذا الاغتماض ؟

من الإسرائيليات إذن تلك الفكرة التى تخلط بين الوحى الصالح والوحى الردى ، بين الروح والشيطان، فتزعم أن الإله الرب قد يرسل روحًا رديئة لتغوى مختاريه أو يكلف الروح (القدس) بأن يضع فى أفواه أنبيائه (من الإسرائيليين) آيات شيطانية، وهى الفكرة التى تنضّدت على الفهم البشرى وتعضدت فى الفكر الدينى، تدعى أن هناك آيات شيطانية .

ومن الإسرائيليات كذلك تلك الفكرة التى تخلط بين المُلْك والنبوة فتزعم أن فى شفتى الملك – أى ملك أو رئيس – وحى ، فهو من ثم يقول ويعمل ويحكم ويفعل ، بأمر من الله . وهى فكرة ذات خطورة بالغة على الدين والشريعة ، كما أنها ذات أثر عظيم على مصائر الشعوب وحقها فى أن تحكم نفسها وأن تحاسب أى ملك أو رئيس عما يفعل وما لا يفعل ، عما يقول وما لا يقول ؛ مادام أنها تجعل الحاكم موصولا إلى الإله بوحى .

وهذا الفهم هو الذى استغله الحكام الفاشيون ، لأنه أقوى من مبدأ حق الملوك المقدس Divine Right of the Kings ، إذ لا يجعل الحق فى الحكم مقدسا ، بل ويدمج قول الحاكم وفعله فى الوحى الإلهى ، بما يجعله فى مرتبة الآيات المقدسة والنصوص الشرعية . وفى هذا المعنى قال أدولف هتلر الزعيم النازى وهو يخاطب الشعب الألمانى (أنا لم أرسل إليكم نبيا ، لكنى أردت أن أكون نبيا فكنت) . وعلى طريق هتلر ، وفى خطى الفاشية ، ادّعى بعض الزعماء أو أوهمهم مستشارو السوء أنهم ملهمون من اللّه (بوحى !؟) فذهبت عبارة (الزعيم الملهم) قولا مأثورا ، تعنى أن لدى الزعيم إلهام (أى وحى) يستطيع بمقتضاه أن يصل إلى القرار الذى لا يمكن لبشر أن يدركه أو ينتهى إليه . ذلك ما قالوا إنه (إلهام الزعامة) ، وهو من الإسرائيليات التى لم تزل عمّالة فعّالة فى العقل البشرى وفى المصير الإنسانى ، حتى يصل الناس إلى رشد صحيح وفهم ناضج ، فيخلعوا عنهم نير الإسرائيليات ويرفعوا عنهم غلّ التّرهات .

- ٣ -

خطورة الإسرائيليات أنها أخلاط متنافرة وأغلاط متواترة وأمشاط متناثرة وأرباط متكاثرة، مازجت معتقدات الكثيرين ظنا بأنها فكر دينى وفهم شرعى، وداخلت كتابات المؤلفين قولا بأنها الحكم الفصل والرأى الأصل، فحرفت وزيفت، وأخلّت وأضلّت، وعوّقت وعطلت، دون أن يجرؤ أحد على نقد ماهو ظاهر الخطأ أو فصل ما هو واضح الضرر، حتى لا يُتهم بالكفر أو يُرمى بالإلحاد.

وهلْ الكفر بالخطأ، أى إنكاره، يعتبر كفرًا بالله إلا فى فهم شائه مغالط لا يعرف حقيقة الله ولا يريد أن يعرف هذه الحقيقة؟ وهل الإلحاد بالشيطان يكون فيه مساسا بالإيمان بالله إلا لدى ذلك الذى لا يدرك الفارق بين الإيمان بالله الرحمان والإيمان بالمعبود الشيطان؟

إن تحديد الإسرائيليات، وبيانها، وفصلها، أمر لا حاجب عنه ولا صارف منه للوصول إلى الإدراك السليم للألوهية والفهم السديد للدين والتطبيق الصحيح للشريعة. وفيما يلى بيان ببعض الإسرائيليات:

١٠ - **الخلط بين الإله الرب وبين ملاك الرب:** ففيما روت التوراة عن يعقوب (المسمى إسرائيل) (أنه قام فى تلك الليلة.. بقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر.. (ثم قال له) لا يُدْعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.. (فقال

يعقوب).. نظرت الله وجها لوجه) تكوين ٣٢ : ٢٢ - ٢٩. يعنى ذلك أن من جاهد (أى تصارع) معه يعقوب كان هو الإله الرب الذى ظهر له فى صورة إنسان، ولما غلبه يعقوب أسماه إسرائيل، التى يقول البعض أنها لفظة تعنى عبد الله أى عبد إيل، لأن إيل هى اللفظة التى تفيد معنى الإله فى اللغات السامية كالآرامية والكنعانية والعبرية (التى انشأت فيما بعد) غير أن بعضا آخر يقول إن لفظة إسرائيل تعنى حرفيا «الذى غلب الإله»، لأن يعقوب كان بالفعل قد تغلب على من صارعه.. وفى موضع آخر فى التوراة، قيل فى الإشارة إلى هذه الواقعة «يعقوب جاهد مع الله جاهد الملاك وغلب» هوشع ١٢ : ٣، وهو ما يعنى أن من جاهده يعقوب، يقال إنه الله ويقال إنه الملاك؛ فيما يثبت وقوع تخالط وتداخل فى الإسرائيليات بين الإله الرب وملاك الرب، الأمر الذى يظهر بوضوح فيما ترويه التوراة عن لقاء موسى بالإله الرب وكلامه معه.

«أما موسى فكان يرعى غنم.. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة.. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى..» خروج ٣ : ١ - ٥.

ففى هذا النص ظهر ملاك الرب أولا، ثم إذا بالإله الرب يستبدل بالملاك، دون بيان سبب لذلك، أو إيضاح لأين كان الإله الرب عندما ظهر الملاك، وأين ذهب الملاك عندما تكلم الإله، وهو أمر دعا كثيرا من العلماء إلى التأكيد على وجود خلط فى الإسرائيليات بين الإله الرب (الله) وبين ملك (ملاك) الرب، أدى إلى إحداث تطابق بينهما فوضع أحدهما موضع الآخر.

وهذا الذى يقوله العلماء يجد أسانيد كثيرة من نصوص التوراة. ففضلا عن أن الأوصاف والأعمال والأقوال التى تنسب إلى الإله فيها لا يمكن أن يوصف بها الله أو أن تصدر عنه، فإنه قد ورد على لسان داوود أن «روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى» صموئيل الثانى ٢٣ : ٢، كما جاء فى مزامير داوود «الله قد تكلم بقدسه» ١٠٨ : ٧، أى إن الله لم يتكلم معه، ولا مع غيره بذاته، بل إن قدسه، أى روحه أى روح القدس، أى ملاك الرب هو الذى كان يتكلم. هذا مع أن نصوص التوراة تفيض بما يفيد ويؤكد أن الإله الرب جلس إلى داوود، وكلم داوود وأشار على داوود؛ كما فعل ذلك مع شاول ومع سليمان بن داوود. وفى سفر نحميا، وفى بيان ما فعله الإله الرب من مكارم مع بنى إسرائيل قال نحميا «وأعطيتهم روحك الصالح لتعْليمهم» ٩ : ٢٠، يقصد بذلك أن كل شريعة موسى، التى يتكرر فى أسفار موسى بشأنها تعْبير «وكلم الله موسى»، هذه الأسفار بما فيها من تعاليم، قدمها روح الإله الصالح (وليس الروح الردىء الذى بَغَت شاول)، أى الروح أو الروح القدس أو ملاك الرب، الذى أعطاه الإله الرب لبنى إسرائيل ليعلمهم.

كل أولئك يعنى تأكيدا أن من يُقال عنه الإله الرب فى التوراة هو فى الحقيقة ملاك الرب، وأنه حدث تداخل وتخالط فى الإسرائيليات بين الإله والملاك، كما أن التعبير عن كلام الله هو من قبيل المجاز، الذى ينسب ما يصدر عن ملاك الرب إلى الإله ذاته، الذى لم يتكلم ولم يجالس ولم يشاور ولم يسكن وسط إسرائيل ولم يقودهم كعمود سحاب نهارا وعمود نار ليلا، فذلك كله مجاز فى مجاز، ليس له من الحقيقة نصيب.

١١ – توسيع نطاق الردة الدينية والعقاب عليها بالقتل: وضح فيما سلف كيف أن الشريعة، بظروفها وتطورها ووضعيتها، قد صارت محور

حياة الإسرائيليين، ومحيط تصرفاتهم، ومطمع آمالهم، ومحل رجواتهم، وتمييز جنسيتهم. هى لهم كل شىء، وبغيرها يصيرون لا شىء؛ خاصة بعدما امتدت حتى فى أسفار موسى لتشمل كل مناشطهم وتجمع كل تاريخهم وترسم كل مستقبلهم، ثم بعد ما انتشرت فى ظلال التلمود (فقه العلماء) ليبقى الإله الرب؛ من خلال تعاليم الأحبار وفقه العلماء، هو الذى يحكم الجماعة الإسرائيلية، جماعة الله على ما يقال.

من هذا المعنى، وبهذا المفهوم، ولهذه الغاية، فقد حدث اشتداد فى التوراة على من يخرج عن هذا الإطار الشمولى الكهنوتى الصارم، ولو قيد أنملة أو حد شعرة، ليكون الحكم إعدامه تماما، إعداما ماديا بعد أن يكون قد أعدم معنويا، على تقدير أنه ألحد وارتد، وخان الإله الرب كما اختان جماعة الله.

فى البداية قيل «يا إسرائيل: اسمع الفرائض والأحكام التى أعلمكم لتعملوها لكى تحيوا.. لا تزيدوا على الكلام الذى أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكى تحفظوا وصايا الرب» تثنية ٤ : ٢، ٣ . ثم قيل «ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها» تثنية ٢٧ : ٢٦. ثم قيل «من لا يطلب الرب إله إسرائيل يقتل، من الصغير إلى الكبير من الرجال والنساء» أخبار الأيام الثانى ١٥ : ١٣.

هكذا تدرج الأمر من ضرورة التزام الشريعة، بلا زيادة فى الكلام أو نقص فيه، باعتبارها الحياة، إلى أن صار ملعونا من لا يقيم كلمات الناموس ليعمل بها، ثم أصبح الحكم هو قتل من لا يطلب الرب إله إسرائيل. وتعبير «من لايقيم كلمات الناموس» تعبير غامض غير محدد، مادام أنه يمكن اتهام أى شخص، خاصة من سلطة كهنوتية، بأنه لم يقم كلمات

الناموس، لسبب أو آخر، ترتأيه هذه السلطة، وتجد له التبرير القولى والتسويغ الفقهى. أما تعبير من «لا يطلب الرب» فهو تعبير أشد غموضا وأعسر فهما. فمن هو هذا الذى لا يطلب الرب؟ وما هو المقصود من عدم طلب الرب؟ وكيف يكون عدم الطلب هذا؟.

إن هذا التعبير واسع وسع فوهة بركان ضخم، لدن لدانة عجينة مطاطة إلى أقصى حد، يمكن أن يندرج تحته أى قول وأى فعل، ويحتمل أن تندمج فيه أى عبارة وأى إشارة. وهو بلا شك من وضع الأحبار العلماء الذين أرادوا به وضع مقصلة أمامهم، يعدمون تحتها أى شخص لا يرضون عنه، وأى فعل يخافون نتيجته، وأى رأى يخشون أثره، حتى تظل لهم السلطة العليا على كل مناشط المجتمع وكافة عناصره، وتستمر الأيديولوجيا الكهنوتية ضاغطة طاغية، تدعى التعبير عن كلام الله وتزعم تنفيذ إرادة الله.

وعلى نهج هذه الإسرائيليات كل اتجاه وأى فقه يوسع فيما يراه هو ردة، يتضمن إنكار معلوم من الدين بالضرورة، ليتوسل إلى إطباق سيطرته، ويتوصل إلى إعدام الإنسانية ووأد الحرية الفكرية.

١٢ - مبادىء الأخلاق هى للمؤمنين وحدهم دون باقى الناس، وهى تهدف إلى السيطرة على الآخرين:

الوصايا العشر الشهيرة، التى ورد فى التوراة أن الإله الرب كتبها لموسى بإصبعه على لوحين من الحجر، هى وصايا خلقية للإسرائيليين وحدهم وليست للبشريةجمعاء. فهى تبدأ بالقول «أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية»، وهى بذلك خطاب للشعب الإسرائيلى الذى خرج من مصر. وفى هذه الوصايا «لا تشهد على قريبك شهادة زور.

لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك.. ولا شيئا مما لقريبك» خروج ٢٠ : ٢ - ١٧.

هذه وصايا تؤكد على عدم الإساءة للقريب أى للإسرائيلى، ولا تتضمن تقريرا عاما بعدم الإساءة إلى أى إنسان. وهذا هو المفهوم الذى يتكرر دائما فى التوراة. «إن أقرضت فضة لشعبى الفقير (أى للإسرائيلى) الذى عندك فلا تكن له كالمرابى، لا تضعوا عليه ربا» خروج ٢٢ : ٢٥ هذا عن إقراض الإسرائيلى، أما إقراض غيره فله حكم آخر. «تقرض أمما كثيرة وأنت لا تقترض. وتتسلط على أمم كثيرة وهم عليك لا يتسلطون» تثنية ١٥ : ٦ «لا تأكلوا جثة ما. تعطيها للغريب.. فيأكلها أو يبيعها لأجنبى لأنك شعب مقدس للرب إلهك» تثنية ١٤ : ٣١.

الشريعة إذن للإسرائيليين وحدهم، ومبادئ الأخلاق فيها للمؤمنين منهم دون البشرية جمعاء، وهى العهد الذى قطعه الإله الرب مع بنى إسرائيل بعد أن أوصى بها موسى «الرب إلهنا قطع معنا عهدا فى حوريب ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعا أحياء» تثنية ٥ : ٢، ٣. وهذا العهد، أى الشرع، قوامه أن الإسرائيليين شعب مقدس للرب إلهه هو دون باقى الناس، مما يعنى أن غير الإسرائيلى غير مقدس، وقد يكون نجسا، يعطى الميتة فيأكلها أو يبيعها.

وعلى ما سلف فإن النص الخاص باقراض الغير يبدو كما لو كان فريضة تدفع الإسرائيلى إلى ألا يقترض أبداً بينما يسعى جاهدا لإقراض غيره من الأمم الكثيرة، وبالربا الذى قد يكون فاحشا. ويعده النص بأن يتسلط على أمم كثيرة فى حين أن هذه الأمم لا تتسلط عليه، وهو أمر وقع العكس منه تماما على مدار التاريخ، لكنه يكفى لمن يقيم عقيدته على النص الحرفى

المجرد من أى ظـرف تـاريخى، أن يسـعى جـاهدا للسـيطرة علـى الأمـم، بسلاح المال الذى يشير إليه صدر النص، وأن يرفض ما قد يتصوره سـيطرة أمة أخرى عليه حتى ولو كان يقيم غريبا بين ظهرانيها.

وغنى عن البيان أن هذا الفهم الخاطئ كان من أهم الأسباب التى أنزلت باليهود كوارث شديدة على مدار التاريخ وألحقت بهم نـوازل عظمـى علـى انتشار الأماكن.

الإسرائيليات مـن ثـم هـى التـى تدعـو فـى الشـرائع الأخـرى إلى قصـر الأخلاقيات على المؤمنين وحدهم بحيث لا تشمل شتى البشر إلا تفضّلا من المؤمنين ونوافل من جانبهم. والإسرائيليات كذلك هـى التـى تدعـو جماعـة (أو أمة) لأن تعمل دائما، وتتصور أبدا، أنه لابد لها أن تتسلط علـى بـاقى الأمم بدعـوى أنـها الأفضـل أو الأخْـيَر، أو أنـها وحدها دون بـاقى الأمـم مقدسة لله رب الإنسان ورب الأكوان.

١٣ – اعتبار كل حكم وكل أمر وكل رأى فريضـة: لفظ الفريضـة دارج الاستعمال فى التوراة، دون أى تحديد أو تفرقة بينه وبين الأمـر أو الحكـم أو الوصية. فشعيرة الفصح تسمى فريضة «من كـان طـاهرا وليـس فـي سَـفَر وترك عمل الفصح تقطع تلك النفس من شعبها لأنها لم تقرب قربـان الـرب فى وقته.. وإذا نزل عندكم غريب فليعمل فصح الرب حسب فريضة الفصح وحكمه كذلك يعمل فريضة واحدة تكون لكم للغريب ولوطنى الأرض» عـدد ٩ : ١٣، ١٤. والنفخ فى البوق لمناداة الجماعة فريضة «اصنع لك بوقين من فضة.. فيكونان لك لمناداة الجماعة.. بنو هارون الكهنة يضربون (ينفخـون) بالأبواق فتكون لكم فريضة أبدية فى أجيالكم» عدد ١٠: ١ – ٧.

حتى الشريعة يشار إليها بلفظ الفريضة «هذه فريضة الشريعة التى أمر بها الرب» عدد ١٩: ١، وكذلك الحكم «فتكون هذه لكم فريضة حكم» عدد ٣٥: ٢٩، ويقال على كل شأن وأى أمر فريضة وفرائض. يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام ٤: ١، هذه هى الوصايا والفرائض والأحكام» تثنية ٦: ١ «احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التى أوصاكم بها» تثنية ٦: ١٦.

نتيجة اعتبار كل أمر وكل حكم وكل وصية فريضة أن يكون جزاء الإخلال بها أو الإهمال فيها جزاء رادعًا قاطعًا. فقد سلف بيان الحكم فى شأن من لم يقرب قربان عيد الفصح وهو أن تقطع نفسه من الشعب، أى أن يُعدم. وهذا الجزاء القاسى هو الجزاء كذلك على أى مخالفة أو أى تأجيل أو أى تهاون فى أداء أى فريضة، وكل ما فى التوراة وما فى التلمود (وهى فقه العلماء) يعتبر فريضة.

أثرا لذلك فإن عقوبة الإعدام تكون جزاءًا شائعًا، وحكما أساسيا، فى الإسرائيليات، التى تعتبر كل أمر فريضة وأى تهاون فى أداء الفريضة حرب للإله وخروج على الجماعة، تقتضى قطع النفس بالإعدام.فى الشرائع الأخرى لا يوجد هذا التشدد والتزمت أصلا. وفى الفقه الإسلامى يبادل الجمهور بين لفظى الفريضة والواجب بغير تمييز بينهما. والفرض هو ما فرضه الله بدليل قطعى لا شبهة فيه. والفرض (أو الواجب) الذى يكون عينًا (أى على كل عين أى على كل فرد) هو الذى يُطالب به كل مكلَّف على وجه اللزوم. ولم يصبح الإتهام بعدم أداء الفريضة أو التهاون فى شأنها أمرًا جسيمًا يعاقب عليه بالإعدام إلا عندما غلبت الإسرائيليات الفكْرَ السمح فى الإسلام. وتلا هذا التشدد الصارم اعتبار كل شىء فريضة، كما هو شأن الإسرائيليات، وسيرًا فى خطاها وغرقًا فى لجاها، فصار

الجهاد فريضة ،والحجاب فريضة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.(وفقا لمفاهيم أى شخص) فريضة.. وهكذا.

١٤ – الإله الرب يتآمر على الناس ويقامر على مصائرهم: فى مزامير داوود «الرب أبطل مؤامرة الأمم. لاشىء أفكار الشعوب. أما مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت» ٣٣: ١٠، ١١ وقد سلف بيان ما تآمر به الإله الرب على الأنبياء وكيف أنه أرسل الروح لتضع الكذب فى أفواههم، وكذلك كيف أنه تآمر على الشعب الإسرائيلى فأعطاهم فرائض غير صالحة وأحكاما لا يحيون بها كما نجسهم بعطاياهم.

فالإله الرب فى الإسرائيليات يدبر المؤامرات ويقترف الخداع، وينزل على أنبيائه ومختاريه روحا صالحا ثم فجأة يبغتهم بروح ردىء، ويعطى إلى الناس فرائض صالحة ثم يضللهم فيعطيهم فرائض غير صالحة، ويوحى بآيات ربانية كما يوحى بآيات شيطانية؛ فكيف مع هذا التناقض والتعارض يستطيع الإنسان أن يستبين الطريق القويم والشرع السليم؛ وكيف لا يضطرب ويختلط عليه الأمر فلا يميز بين الروح الصالح والروح الردىء، بين ما هو هداية وما هو مؤامرة، بين الفريضة الصالحة والفريضة الطالحة، بين الآيات الرحمانية والآيات الشيطانية؟.

الأشد خطورة من هذا ما ورد فى سفر أيوب من أن الإله الرب يتراهن مع الشيطان ذاته، وموضوع الرهان هو روح أيوب، وأيوب هذا ليس إسرائيليا من الشعب الإسرائيلى، لكنه أدومى من قبيلة الأدوميين، لكن كتاب التوراة أخذوا قصته، ربما من التراث الشعبى (الفولكلور) السائد فى المنطقة، وأعادوا كتابتها فى سفر ضموه إلى أسفار التوراة، فصار من أهم الإسرائيليات التى تصبغ الفكر الدينى وتلون المفاهيم البشرية.

جاء فى سفر أيوب «.. أيوب، هذا الرجل (كان) كاملا ومستقيما يتقى الله ويحيد عن الشر.. فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدى أيوب، لأنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجانا يتقى أيوب الله. أليس أنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية.. ابسط يدك الآن.. فإنه فى وجهك يجدّف عليك. فقال الرب للشيطان هو ذا كل ما له فى يدك. وإنما إليه لا تمد يدك. ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب.. وضرب أيوب بقُرح ردىء من باطن قدمه إلى هامته.. (وألحق به مصائب كثيرة، حتى قال أيوب) أحوال الله مصطفة ضدى..» ١، ٢، ٦.

الفكرة فى القصة واضحة جدا وخطيرة للغاية، مقتضاها أن الله فاخر الشيطان بأيوب العبد الصالح، فقال الشيطان إن صلاح أيوب يعود إلى أن الله يضع سياجا من عنايته أو رحمته حوله، فإذا ما أرخى الله عنايته وسحب رحمته فإن أيوب سوف يتغير تمامًا ويكفر بالله ويأتى كل المكاره والمحارم. عند ذلك تخلى الله عن أيوب وتركه للشيطان يفعل فيه ما يشاء على أن يحفظ نفسه، أى لا يميته. وضرب الشيطان أيوب بكوارث كثيرة لسنوات عديدة دون أن يكفر بالله أو يقنط من رحمته، وبذلك خسر الشيطان الرهان. فهل يكون من الفكر الدينى الصحيح أن يراهن الله الشيطان على روح إنسان بشر، أو على الإنسانية جمعاء، فيتركها له ويتخلى عنها، حيث يحكم الشيطان الأرض وما عليها ويضرب الناس بالبلايا والأمراض، والله بعيد عن الناس متخل عن الإنسانية، حتى ينتهى الأجل المضروب بينه وبين الشيطان فى عقد المراهنة؟ وكيف للإنسان أن يواجه كوارث وبلايا ورزايا، لا يعرف لها سببا ولا يستطيع لها منْعا؟ وفيم تكون مسئوليته، ولم تقع هذه المسئولية إن كان المسيطر على أفعاله وأقواله

شيطان رجيم وقوى شريرة، لا يعرفها ولا يفهمها ولا يستطيع مواجهتها ولا يقدر على محاربتها؟ وهل يمكن للإنسان فى ذلك الخلط المضطرب أن يعرف أو يحدد ما هو من الله وما هو من الشيطان؟.

هذه الفكرة الإسرائيلية اخترقت الفكرات الدينية واخترمت الممارسات البشرية، حتى صارت قاعدة وأساسا لكثير من المفهومات والتصرفات والنظريات، وثمَّ من يرى أن الاتجاه الذى يلجأ إلى عبادة الشيطان قد وقع فى أسر تلك الفكرة الخبيثة، إذ يزعم أنه يعبد من يحكم الأرض فعلا ومن يهيمن على الأفعال ويسيطر على الأقدار. لذلك فإنه يكون من الضرورى تصحيح هذه الفكرة ليصح الفكر الإنسانى ويصح الفعل البشرى.

١٥ - **الأسماء تفسَّر بمدلول خاطئ فى اللغة العبرية:** كان العبرانيون، وهم كما يرى الإسرائيليون، أصل لهم، يتكلمون اللغة الكنعانية، وهو ما يمكن أن يكون دليلاً على أن بنى إسرائيل الذين أقاموا فى مصر، فى أرض جاسان أى منطقة بلبيس بالشرقية، كانوا يتكلمون الكنعانية وظلوا يتكلمون بها زمنا، ذلك أنه ورد فى التوراة أنهم يتكلمون «بشفة كنعان» أى باللغة الكنعانية. وموسى عليه السلام الذى رُبىَّ ونُشىء فى قصر الفرعون وتعلم كل حكمة المصريين، كان يتكلم اللغة المصرية القديمة، التى تكتب بالحروف الهيروغليفية، ولا يتكلم الكنعانية، وهذا هو السبب الذى دعا كتاب التوراة إلى أن يصفوه بأنه كان «أغلف الشفتين» وما شاع فى الفكر الدينى نتيجة ذلك من أن موسى كان عييا، فى نطقه عيب، ومن ثم استعان بأخيه هارون ليتحدث بدلا عنه. والحقيقة التى تظهر بجلاء من التحليل التاريخى أن موسى لم يكن عييا قط، لكنه كان لا يعرف أو لا يحسن الكلام بالكنعانية، لغة الإسرائيليين فى ذلك الوقت، ومن ثم استعان بهارون الذى كان يجيدها، ليكون ناقلا عنه ومترجما له.

والنتيجة التى تتأدى عن ذلك أن الشريعة اليهودية، والوصايا العشر، كانت باللغة الهيروغليفية التى يفهمها ويتكلمها موسى، ولم تكن بالكنعانية ولا كانت بالعبرية التى لم تكن قد نشأت بعد.

كان الكهنة فى مصر القديمة يعتقدون أن الحروف الهيروغليفية مقدسة، وأن الأرباب سادة مصر يتكلمون اللغة المصرية، وأن تحوت رسول الإله وكاتبه هو الذى علم أوزيريس (إدريس) كتابة الحروف المقدسة.

عاش موسى على الراجح فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وفى القرن التاسع قبل الميلاد، أى بعد وفاة موسى بأربعة قرون (٤٠٠ عاما) بدأت تتكون اللغة العبرية، وظلت لغة معابد ولغة كهنة لا يتكلم بها الشعب حتى القرن الثالث قبل الميلاد (٣٠٠ عاما قبل ميلاد المسيح) حين أصبحت لغة حديث عام بين الإسرائيليين. ومع ذلك فقد اقتبس الأحبار المعتقد المصرى القديم عن أن اللغة المصرية، والحروف الهيروغليفية، لغة وحروف مقدسة وأنزلوه على اللغة العبرية والحروف العبرية وأشاعوا القول بأنها مقدسة، وأنها لغة الإله الرب ولغة الملائكة ولغة السماء، مع أن ذلك غير صحيح أبدًا، خاصة مع قيام الأدلة العلمية على حداثة نشوء اللغة العبرية، وتوافر الأسانيد التاريخية على أن موسى عاش ومات قبل ظهور هذه اللغة، وأن الشريعة والوصايا كانت أصلا باللغة الهيروغليفية التى كان يتكلم بها موسى. وربما ساعد على هذا الفهم المغلوط أن ألواح وأوراق التوراة الأصلية كانت قد فقدت، وأعيد كتابة أسفار التوراة فى عهد عزرا الكاتب والكاهن، مُحْيِىُ الشريعة (٤٥٠ ق.م).

بهذا المفهوم التلفيقى، المنبنى على الاختلاس والاقتباس، عمد أحبار إسرائيل إلى تفسير كل اسم على مقتضاه. فآدم سمى كذلك لأنه سار على أديم الأرض، مع أن أصل اللفظ أتوم المصرى. وحواء سميت باسمها هذا

نسبة إلى الحياة، مع أن لفظ حياة العبرى لم يكن يوجد وقت تسمية حواء. وموسى يعنى الذى انتشل من الماء، مع أن الاسم مصرى هو جزء من اسم كامل إما أن يكون رع موس أو تحوت موس أو أح موس وهكذا، وهو فى اللغة المصرية يعنى طفل أو ابن (كذا).

وهذا التفسير الخُرافى للأسماء، طال اسم إدريس (أوزريس) فقيل إنه من الدرس، وطال غيره من الأشخاص والأماكن، مما أثر تأثيرا سيئا على حركة العقل وتقدم العلم، إذ عوق أى جهود صحيحة صادقة لبيان أصول الأسماء، وجذور الأشياء؛ ومازال حتى الآن يعرقل مفاهيم أناس كثيرين لا يستطيعون وربما لا يريدون استيعاب الحقائق واستعمال المنطق واستقراء التاريخ.

١٦ – **حجاب المرأة فريضة**: وضع المرأة للخمار، المسمى حجابا، على وجهها، كان عادة منتشرة بين كل القبائل الأسيوية، وخاصة فى منطقة فارس وشبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين. وهو بهذه المثابة عادة اجتماعية. غير أنه لما كانت الشريعة الموسوية شمولية، تعمد إلى تنظيم كل أمر وكل وضع فى الجماعة، فإنها أضفت على العادات الاجتماعية السائدة حتى من قبلها، صيغًا دينية، فجعلتها قسما من الشريعة، وصورتها على أنها أوامر من الإله الرب، وفريضة من عنده، ورتبت على مخالفتها أو إهمالها جزاءات دينية؛ فقد تعد المخالفة أو يعتبر الإهمال حربا لله، على ما هو سائد فى منطق الإسرائيليات، وبهذا يكون الجزاء هو الفصل عن الشعب، أى الإعدام.

وفى كتاب المؤرخ اليهودى فيلون، يصف الحياة الاجتماعية فى عصر بداية المسيحية فيقول «الحياة العامة للرجال، فيليق أن تبقى النساء فى

البيوتات ويعشن محتجبات» (الشرائع، ٣ : ١٦٩). وفى أحد الأسفار اليهودية ثمّ نص يقول: «كنت فتاة عذراء لا أجتاز عتبة بيت والدى» (مكابيون ١٨ : ٧). وكانت القاعدة الإسرائيلية أن المرأة المتزوجة لا تخرج إلى الشارع إلا بحجاب يحجب وجهها (نقاب أو خمار). وجاء فى التلمود (التّعاليم، فقه العلماء): «إن كشف المرأة عن رأسها فى الشارع سبب طلاق لها بدون دفع المؤجل من المهر» سفر الخطوبة ٧ : ٦.

قرار المرأة فى بيتها، وعدم مساهمتها فى الحياة العامة، مسألة اجتماعية أصلا، كانت شائعة فى أمصار متعددة وفى عصور معينة. وإلى هذه المسألة يشير المؤرخون من المجتمع اليهودى، كما تذكر كتب التاريخ عن مجتمع روما، وهو ما ورد ذكره تحديدا فى مدونة جستينان (٥٣٣م) التى قننت القواعد الاجتماعية والمبادئ القانونية فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية الشرقية، التى كانت تضم بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية.

ووضع المرأة للحجاب، وخاصة أثناء سيرها فى الطريق، قاعدة إسرائيلية وردت نصّا فى التلمود. فهى فى الأصل عادة اجتماعية أسبغ عليها الأحبار (العلماء) صبغة دينية حين ضمّنوها تعاليم التلمود، لأن الجزاء الدينى والرادع الشرعى كان هو القاعدة الأساسية فى الشريعة الموسوية، على اعتبار أنه أكثر فعالية وأنتج أثرا. يضاف إلى ذلك أن الإسرائيليات تتوسع فى وصف كل أمر وأى وصية بوصف الفريضة، وإلحاق المسألة الاجتماعية بالشعائر الدينية بما ينتهى إلى أن يكون وضع الحجاب (الذى يوصف مرة بالنقاب ومرة بالخمار) فريضة دينية، من تخالفها من النساء أو الفتيات إنما تحارب اللّه، بنفس المنطق والتعبير الإسرائيلى الذى سلف إيضاحه.

– ٤ –

لما كان تتبع نشوء الإسرائيليات وتعقّب آثارها عامة وخاصة، يتأدى إلى تنوير الفكر الدينى ويتعدّى إلى تثوير العقل الإنسانى، فإنه يكون من الواجب استمرار ذلك التتبع وهذا التعقب، لاستخلاص أغلب الإسرائيليات، واستقصاء المفاهم الدينية الصحيحة.

وفيما يلى بعض من هذه الإسرائيليات:

١٧ – اختلاف الإظهار عن الاضمار، فيما يعتبر تقية: كانت اليهودية فى البداية شريعة انتصار وعلانية ثم تحولت إلى نظام انكسار وتقية. فعندما دخل اليهود أرض فلسطين بقيادة يوشع، وحاربوا القبائل التى كانت تستوطن هذه الأرض، حققوا بعض الانتصارات التى تصاعدت حتى بناء هيكل سليمان، وتأسيس دولتين لهم، إحداهما فى الشمال هى إسرائيل، وثانيتهما فى الجنوب هى يهودا. ودارت الحرب سجالا بين المملكتين طوال قرنين (٩٣٥ – ٧٢٥ قدم) مما أدى إلى أضعافها معا، فبدأت عهود الانكسار حين غزا الملك الأشورى سرجون المملكتين معا (٧٢٢ ق.م) ونفى كثيراً من اليهود الذين تبددوا بين الأمم فتلاشت منهم عشر قبائل من مجموع اثنتى عشرة قبيلة (أو فرعا أو سبطا). وتلا ذلك استيلاء مصر على أرض فلسطين. ثم استيلاء الملك البابلى نبو خذ نصر عليها وتدمير هيكل سليمان، وأسر كثير من اليهود ونقلهم إلى بابل. وقد

عادوا إلى أرض فلسطين عندما غزا قورش الملك الفارسى مملكة بابل، وظل ما بقى من اليهود، وهم بعض قبيلتهم (أو فرعين أو سبطين) من قبائل بنى إسرائيل الاثنتى عشرة، فى أرض فلسطين زمنا، حتى دمر الرومان مدينة أورشليم (القدس) سنة ٧٠م، فتشتت باقى اليهود هؤلاء، مع من انضم إليهم من أجناس أخرى، وتفرقوا فى شتى البلاد

فى فترات الانكسار، وحالات المشتتات، اضطر اليهود إلى إخفاء كثير من معالم شريعتهم (التى صارت أيديولوجيا)، بل وعمد بعضهم إلى إخفاء يهوديتهم ذاتها، إدعاء باعتناق شريعة أخرى، غالبا ما تكون شريعة من يقيمون بينهم أو يحاولون اتّقاءَ بأسهم. وهؤلاء اليهود هم الذين يسمون Crypto - Jews . ولفظ Crypto يعنى الشخص الذى ينتمى سرا إلى طائفة أو حزب أو هيئة، وما شابه، كما يعنى الخفى أو السرى أو الملغز أو السرادب الذى يختفى فيه الحيوان، ومن ثم فهو يطلق على هؤلاء الذين يظهرون غير ما يبطنون ويعلنون غير ما يضمرون، تقية من أى ايذاء ينالهم من الغير، فهم بذلك يزحفون إلى شريعة أخرى ويختلسون مبادئها لأنفسهم ويتسلقون على أنظمتها وأجهزتها، ويخافون الجهر بحقيقتهم، فيعملوا على إفساد الشريعة التى ادعوا اعتناقها حتى ينتقموا لأنفسهم، ولكى ما يقتربوا بهذه الشريعة من أفكارهم التى هى الإسرائيليات، فيدسونها بدهاء ويخلطونها مع غيرها بخبث شديد، حتى تصبح الشريعة التى ادعوا اعتناقها أقرب إلى شريعتهم وأدنى إلى ما يعتنقون، فتكاد بذلك أن تستحيل إلى صورة أخرى لشريعتهم ونسخة مكررة من معتقدهم.

بهذا صار صميم الشخصية اليهودية – التى تعتنق فكرة التقية – ألا تظهر ما تضمر وألا تعلن ما تخفى، وبذلك فإن الإسرائيليين تمرسوا على

إخفاء أهدافهم وتمرسوا فى إيهام الغير خلاف ما يرمون إليه ويقصدون تحقيقه. فهم فى فترات التكوين غيرهم فى فترات التمكين. فى الفترة الأولى أو حال الضعف يقوم خطابهم على العرض والتوسل، وهم فى الفترة الثانية أو حال التمكن، يتحول خطابهم إلى الأمر والفرض. وذلك ما حدث تماما مع الحركة الصهيونية التى أعلنت فى البداية أنها تريد مجرد وطن قومى (وليس دولة) فى فلسطين، وما إن تحول التكوين إلى تمكين حتى أعلنت أنها تريد إنشاء دولة تتعايش مع الفلسطينيين، ولما زاد التمكن تحول الأمر إلى الفرض الواقع بقيام دولة واحدة... وهكذا دواليك.

واليهود الذين ادعوا اعتناق المسيحية أو الإسلام يغلب أن يكونوا ممن يندرج عليهم وصف Crypto - Jews ومن ثم نقلوا كثيراً من الإسرائيليات إلى الآخرين، فاعتنقتها آخرون، وقد خفى عليهم مصدرها كما غابت عنهم حقيقة هؤلاء الإسرائيليين، وطبيعة ما كانوا يهدفون إليه.

بل إن أسلوب التقية ذاته انتقل إلى شيع وجماعات من المسلمين، فصار شريعة تعارض الشريعة، وصار دينا يناقص الدين. ونظرا لما لحق بالشيعة من اضطهاد فى العهدين الأموى والعباسى فقد لجئوا إلى التقية بصورة حادة، حتى قال جعفر الصادق، سادس أئمة الشيعة والذى ينسب إليه المذاهب الشيعى الجعفرى: التقية دينى ودين آبائى، كما قال: من لاتقية له لا دين له.

وفى العصر الحديث لجأت جماعات الإسلام السياسى إلى أسلوب التقية، وإن سماه أحد قادتها: الإيهام أى أن يوهم الناس غير ما يعتقده فعلا وما يسعى إلى تحقيقه ويعمل على تنفيذه. فالتكوين غير التمكين وما يقال ويفعل فى حال الوهن والاستضعاف، ينقلب إلى عكسه تماما فى

حال التمكن والغلبة. وهذا هو صميم الإسرائيليات وقد طغت وجوهر الإسرائيليات وقد سادت.

١٨ - اقتطاع النص من السياق التاريخي وتفسيره على عموم ألفاظه:
اليهودية تاريخ طويل بدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومازال مستمراً حتى اليوم، أى إنه قطع فى مسيرة الزمان ٣٣ قرناً (٣٣٠٠ عاما) هذا بالإضافة إلى أنه انتشر فى نطاق المكان على مدى واسع فى المعمورة. فإذا أضيف إلى ذلك أن أسفار التوراة الأساسية قد كتبت فى عهد إحياء الشريعة بعد عودة اليهود من الأسار البابلى، وعلى يد الكاهن الكاتب عزرا حوالى ٤٥٠ ق .م، ثم زيدت بعد ذلك إلى هذه الأسفار أسفار أخرى مثل أسفار زكريا وملاخى، إذا أضيف ذلك إلى تاريخ اليهودية الطويل وانتشارها المكانى المتناثر، خلص التقدير بأنها تاريخ توفيقى بين ثقافات متعددة. ففى اليهودية انتقاءات من الحضارة المصرية القديمة واختيارات من الفكر الأشورى والفهم البابلى، وامتزاجات بالتراثات الشعبية المختلفة (الفولكلور)، وإختلاطات بالمساطير الشفوية المتناثرة، وهو ما يعنى أن اليهودية ثقافات متعددة، حدثت محاولات عدة للتوفيق بينها، فنجحت مرة وفشلت مرات، ومن ثم بدت التوراة وفيها نصوص متعارضة، ووقائع متناقضة، لكنها إن أخذت بالمفهوم الصحيح على أنها تاريخ طويل بعيد، وثقافات متعددة متغايرة، بدا التعارض أقرب إلى ممارسة التوليف وظهر التناقص أدنى إلى محاولة التوفيق.

أدت هذه الأمور جميعاً إلى أن ينتهج الكهنة (والكاهن) ثم الأحبار (والحبر) أسلوباً خاصا عند الركون إلى نصوص من التوراة أو الاستشهاد بعبارات فيها، هذا الأسلوب يقوم على اقتطاع النص من السياق السردى واجتثاثه من الظروف التاريخية، واستعماله على مطلق عموم الألفاظ،

مجرداً من الواقع ومنفصلا عن مجمل النصوص. ساعدهم على ذلك أن التوراة لم تكن مطبوعة، أو مكتوبة، بصورة تجعلها على الدوام فى أيدى القراء والمستمعين حتى يقرءوا النص الذى يتم الاستشهاد به فى سياقه اللفظى وفى ظروفه التاريخية.

نتيجة لهذا المنهج يمكن أن يقال «فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام (إبراهيم) ميثاقا» تكوين ١٥ : ١٨. ويمكن أن يقال إن العهد أو الميثاق قطعة الرب مع موسى وليس مع إبراهيم «ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعاً أحياء » تثنية ٥ : ٣. وكذلك يمكن أن يقال على لسان الرب «روحى قائم فى وسطكم» حجى ٢ : ٦ أو يقال «وأسكن فى وسط بنى إسرائيل» ملوك أول ٦ : ١٣، كما يمكن أن يقال «الرب ليس فى وسطكم» عدد ١٤ : ٤٣. وكذلك يمكن أن يقال «تكون لى خاصة بين جميع الشعوب (أى يا إسرائيل) فإن لى كل الأرض.. تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة» خروج ١٩ : ٦٢٥، ويمكن أن يقال «تقاومون الرب .. تفسدون وتزيغون عن الطريق .. لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه» تثنية ٣١ : ٢٧ - ٣٠، وكذلك يمكن أن يقال «الرب إلهك إله رحيم» تثنية ٤ : ٣١، ويمكن أن يقال «الرب ألهك نار آكلة إله غيور» تثنية ٤ : ٢٤.. وهكذا تمتد المقابلات وتتكاثر المواجهات إلى غير ما نهاية، فى مواضيع شتى وفى أمور كثيرة.

لعل ما دعا الكهنة والأحبار اليهود إلى التركيز على منهج التفسير والتمثيل تبعاً لعموم الألفاظ بدلا من التأكيد على المنهج الأصل والأساسى بالتفسير والتمثيل باتباع السياق التاريخى للنص محل التفسير وموضع التمثيل أن الأسلوب اللفظى هو الذى كان يبقى اليهودية سليمة عند

حدودها الأولى، وقت اختيار الإله الرب لإسرائيل وقطعه العهد معهم، باعتبار أنهم شعبه المختار وأمته المقدسة، التى يعطيها أرض فلسطين، وربما كل الأرض التى يملكها، أى المعمورة جميعاً؛ فى حين أن المنهج التاريخى كان ولابد أن ينتهى إلى الوضع الحقيقى من أن اليهود قد تبددوا، وأنهم خانوا العهد مع الإله الرب فنقض هو عهده معهم، مما اقتضى أن يجىء السيد المسيح برسالته وأن تلى ذلك الرسالة المحمدية، حتى ولو بقيت اليهودية كتاريخ مستمر وواقع مستطيل. ففى السياق التاريخى للتوراة تظهر هذه النصوص بمفهومها ومدلولها: «وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثر كم كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها، ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها» تثنية ٢٨: ٦٣، «أجعلكم قلقا لكل ممالك الأرض» ارميا ٣٤: ١٧، «وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك فسكبت علينا اللعنة» دانيال ٩: ١١، «قام شعبى كعدو (لى أنا الرب)» ميخا ٢: ٨.

هذا التركيز على المنهج اللفظى بدلا من التأكيد على المنهج التاريخى أحدث قلقاً كبيراً ورهقا بالغا فى اليهودية، وبين اليهود أنفسهم، لكن امتداد الاستعمال اللفظى عوضا عن المنهج التاريخى إلى الشرائع الأخرى، ومنها الفكر الإسلامى، أحدث ومازال يحدث اضطراباً خطيرا فى الفكر الدينى كله وفى الروح البشرى ذاته.

أظهر مثل لهذا الاضطراب فى اليهودية هو ما يحدث الآن فى إسرائيل وبين اليهود على المستوى العالمى كله. ذلك أن رئيس وزراء إسرائيل المتشدد (بنيامين ناتنياهو) اتهم المعارضين لسياسته، التى تقوم على تهويد

كل أراضى فلسطين بما فى ذلك القدس، بأنهم يتخلون عن يهوديتهم، أى إنه اتهمهم بالإلحاد؛ لأن تفسيره لليهودية، مثل تفسير التقليديين المشددين، مازال واقفا عند مرحلة أولى منها، حين جعل الإله الرب إسرائيل شعبا له وأمة مقدسة ومنحهم أرض فلسطين كلها؛ فى حين أن تفسير معارضيه يتجاوز هذه المرحلة الساكنة المتجمدة ويفسر التوراة واليهودية فى نطاق السياق التاريخى، فلا يتمسك بحرفية الألفاظ، ولا يعتبر أن أرض فلسطين لم تزل هى أرض الميعاد. ولئن كانت قد أقيمت عليها دولة إسرائيلية، لاعتبارات تاريخية وسياسية، فإنه يتعين أن تقام فيها دولة عربية، على أن يتعايش الإسرائيليون والعرب معا.

هذا الصراع هو الذى يقوم حالا (حاليا) فى الفكر الإسلامى بين التقليديين المتشددين من جانب وبين المستنيرين الأحرار (الليبراليين) من جانب آخر. فبينما يتمسك التقليديون بتفسير آيات القرآن على عموم ألفاظها فإن المستنيرين يرون ضرورة أن يتم هذا التفسير فى نطاق الواقع التاريخى الذى تنزلت فيه الآيات، وهو ما يسمى فى علوم التفسير وأصول الفقه بأسباب التنزيل. ومقتضى تفسير آيات القرآن على عموم الألفاظ ينتهى إلى تأييد دعاوى المتشددين الإسرائيليين وتعضيد منطقهم. ففى القرآن ﴿ **يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين** ﴾ البقرة ٢: ٤٧، ﴿ **ولقد اخترناهم على علم على العالمين** ﴾ الدخان ٤٤: ٣٢، ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم** ﴾ المائدة ٥: ٢١ ﴿ **وواعدناكم جانب الطور الأيمن** ﴾ طه ٢٠: ٨٠، وهى آيات لو فسرت على عموم ألفاظها لأدت إلى تأييد وتعضيد التطرف الإسرائيلى، أما إن فسرت وفقا للمنهج التاريخى وتبعا لسياق التنزيل، فسوف ينتهى الأمر إلى أنها مسألة تاريخية حدثت وانقضت، وليس لهذه الآيات أى دوام أو استمرار أو فاعلية فى الوقت المعاصر.

ومن جانب آخر فإن مؤدى تفسير آيات القرآن على عموم الألفاظ أن يستمر العمل حتى الآن بحقوق المؤلفة قلوبهم من غير المسلمين فى الحصول على أسهم من صدقات المسلمين تأليفا لقلوبهم وتحبيبا لنفوسهم فى الإسلام، وأن يستديم كذلك نظام الرق والتسرى بالجوارى الذى لا تطبقه كل البلاد الإسلامية، مما يُعطى سندا لمن يتهم المسلمين جميعا بعدم تطبيق أحكام القرآن وصيرورتهم إلى الخروج من الإسلام والإلحاد به.

١٩ - تحريم الفنون التشكيلية، وعلى الأخص تحريم النحت والتصوير: كانت الفنون التشكيلية كالنحت والتصوير مزدهرة فى مصر القديمة، يؤديها الفنان بدقة فائقة ورقة مرهفة، تركت للبشرية كلها تراثا لا يزال أثره الإبداعى وطابعه الجمالى آخذا بألباب الفنانين آسرا لأذواق الناس جيلا إثر جيل. وكان الفن التشكيلى مزدهرا كذلك، على نحو ما، فى بلاد ما بين النهرين: آشور وبابل وكلدانيا.

وعلى طول التاريخ المصرى القديم، آلاف السنين قبل بداية التاريخ الميلادى، وهو تاريخ نفض أغلب آثاره وفَصل أكثر أعماله، لا يوجد تمثال واحد للإله الأكبر، الإله العظيم، الله. ذلك لأن مفهوم المصريين القدماء عن الله أنه خفىّ (ولفظ آمون يعنى الخفى) وأنه بلا شبه أو مثيل، وأن البشر لا يستطيعون تصوره أو استيعاب حقيقته. وكل التماثيل إنما كانت تنحت للفراعين أو أزواجهم أو الوزراء أو الأشخاص البارزين. أما التماثيل الخاصة بأوزيريس وحورس وست وإيزيس وغيرهم، فهى ليست تماثيل لله، لكنها تماثيل لأشخاص أصبحوا رموزا فى الضمير المصرى وشخوصا فى الوجدان العام لمعانى معينة كالخير والشر والخصوبة والبطولة، وما إلى ذلك. وإذا كان بعض العامة من الناس قد اختلط عليهم الأمر أو اضطرب لديهم

التصور، فهو أمر لا يمس صميم المعتقد وحقيق الشعائر، خاصة وأن العوام حتى فى العصر الحالى ما يزال الأمر لديهم مختلطا والفهم عندهم مضطربا، فهم يتصرفون فى الأضرحة ومع الأولياء أو القديسين بصورة قد يرى فيها الغير وثنية وشِرْكًا.

عندما خرج العبرانيون من مصر بقيادة موسى، كان موسى متحضرا بحضارة المصريين متأدبا بآدابهم، وكذلك كان الشأن مع المصريين الذين خرجوا معه، والذين كونوا سبْط لاوى برياسة هارون، وصاروا هم الكهنة. وما إن غاب موسى على جبل (حوريب) فترة، حتى انقلب الإسرائيليون على التوحيد الإلهى الذى دعاهم إليه موسى، فصنعوا - عجلاً - من الذهب واتخذوه إلها يعبدوه. وحين نزل موسى من الجبل غضب جدا، وحل غضبه حتى على أخيه هارون الذى لم يستطع أن يمنع الإسرائيليين من الانقلاب فى العبادة من الوحدانية المجردة إلى الوثنية المجسدة. وقد كان لهذه الواقعة أثر بعيد جدا فى اليهودية، وفى كل الفكر الدينى تطبّع بها وتقوْلب بأفكارها. ذلك أن موسى لاحظ أن الإسرائيليين بدْوٌ بُدائيين لا يستوعبون المعنى المجرد للتوحيد الإلهى، ولا يستسيغون الفهم العام للألوهية العظمى، هذا فضلا عن أنهم كانوا لبداوتهم وبدائيتهم، عاطلين من الموهبة الفنية، قاصرين عن المقدرة الإبداعية؛ فإذا حاولوا نحت تمثال أو شرعوا فى رسم تصوير، جاء عملهم فجا بدائيا، لا فن فيه ولا إبداع، يصدم الذوق الرفيع الذى اعتاده موسى ويفجؤ الحس المرهف الذى رُبى عليه فى قصر الفرعون. يضاف إلى ذلك أن طبيعتهم البدوية البدائية آنذاك كانت لابد أن تدفعهم إلى تجسيم معنى الألوهية فيما ينحتون وتجسيد وصْفَ الربوبية فيما يصوّرون. من هذه الملاحظات والمدارك جاء فى التوراة: «لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا فى

أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له» لاويون ٢٣ : ١، «لا تلتفتوا إلى الأوثان وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم» لاديون ١٩: ٤.

ولأن الكهنة والأحبار الإسرائيليين تعلقوا بأسلوب تفسير النص على عموم ألفاظه مع الالتفات عن سبب تشريع النص، والظروف التاريخية التى ظهر فيها، والسياق الواقعى الذى يرتبط به، فقد اعتبروا ما جاء فى نصوص التوراة عن حظر صنع التماثيل ومنع تصوير الأحجار وصية عامة، تسرى فى كل زمان وأى مكان، فصارت هى سمة اليهودية الأساسية وصفة اليهود فى كل عصر رأى مصر، حتى وإن تقدمت مواهبهم وصفت أذواقهم وعلت مداركهم، بما يستحيل معه أن يصنعوا تماثيل فجة نابية أو يعبدوا تمثالا أو حجرا؛ بل وصاروا يتهمون جميع الشعوب الأخرى بأنها شعوب وثنية لأنها لا تتبع الوصية التى قيلت للإسرائيليين الأوائل، فى ظروف تاريخية معينة، وأوضاع حضارية متخلفة.

والذى يدقق فى النصين السالفين، على سبيل المثال، يلحظ أن العلة الأساسية فى حظر النحت، فى عهد موسى، وللإسرائيليين آنذاك، هى خشية عبادة ما ينحتون ورغبة فى منع السجود لما يصنعون، وهو أمر يضح تماما من النصوص ذاتها «لا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له»، كما أن هذه النصوص تحمل ذكرى عبادة العجل الذى سبكه لهم صانع غير إسرائيلى (سامرىّ) إذ جاء فيها «وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم».

الوصية إذن، ابنة ظروفها ووليدة بيئتها، وليست عامة مطلقة إلا وفقا لمنهج خاطىء يقف باليهودية عند بواكيرها، أيام موسى وعصر البداوة وعهد البدائية، ولا يسير بها مع التاريخ حيث تطور اليهود وتقدموا فى

الفنون التشكيلية وفى مفاهيم العبادة. ومن يحوز من اليهود تمثالا فى العصر الحالى، فقد يُعَدّ خارجا على اليهودية ملتفتا عن تعاليمها الثابتة المتحجرة منذ ٣٠٠٠ عام على الأقل، أو يضطر هو إلى تعليل وضعه قولا بأن تلك التعاليم كانت صالحة فى أوانها وفى مكانها ولم تعد صالحة فى الوقت الحالى، فيقع بذلك بين شقى الرحى، خاصة وأن قوله ذلك لا يصاغ فى نظرية دينية عامة، ولا يظهر فى قاعدة فكرية واضحة، تربط تفسير النص الدينى بظروفه التاريخية وسياقاته الواقعية.

لم تتأثر المسيحية بهذه الفكرة الإسرائيلية، بل إن الكنائس ذاتها تمتلىء بتماثيل وصور للسيد المسيح والعذراء مريم والعشاء الأخير وواقعة الصلب، إلى غير ذلك مما دعا اليهود المتشددين إلى أن يصفوا المسيحية بالوثنية. وفى الإسلام، فإن ما ورد فى القرآن عن الأصنام جاء فى سياق قصة إبراهيم عليه السلام، ووضعه مع أهله وقبيلته، وكل ما فى القرآن للمسلمين عن الأوثان آية واحدة وردت فى سياق شعائر الحج ﴿ **وأذّن فى الناس بالحج.. فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ الحج ٢٢: ٢٧ - ٣٠، وهى وصية للمسلمين باحتناب الأوثان عند أداء شعائر الحج. وفى سنّة النبى ﷺ الفعلية أنه أدى العمرة بعد صلح الحديبية فطاف بالكعبة وفيها كل أصنام قريش التى لم تُحطم إلا يوم فتح مكة. ومن هذه السّنة كذلك، أنه كانت على الكعبة رسوم وتصاوير أمر النبى ﷺ بمحوها جميعا يوم الفتح عدا صورة (رسما) للسيد المسيح وأمه العذراء مريم، وظلت هذه الصورة على الكعبة طوال حياة النبى بعد ذلك وفى عهد أبى بكر، وردْحا من الوقت زمن عمر، حتى أمر بمحوها، حتى لا تتداخل رموز المسيحية فى شعائر الإسلام.

وفى الوقت الحالى تنتفى أى شبهة فى قيام أى شخص بعبادة التماثيل التى صارت أعمالا جمالية تقام فى كثير من ميادين البلاد الإسلامية، أو شواهد واقعية لتخليد ذكرى العظماء والأبطال. وصارت الصور شائعة الاستعمال، بل وضرورة لازمة لإصدار جوازات السفر وبطاقات الهوية وغيرها، كما أن أجهزة التليفزيون الخاصة بكل البلاد الإسلامية تقذف بآلاف الصور كل ثانية فى وجوه الناس، بل وتدخل عليهم بيوتهم وتقتحم مخادعهم.

٢٠ – **مضايقة غير اليهود والتحرش بهم:** فى التوراة «ثم كلم الرب موسى قائلا. ضايقوا المديانيين واضربوهم» عدد ٣٥: ١٦. وهذه وصية دينية وقاعدة شرعية، إسرائيلية لاشك، تأمر اليهود بأن يضايقوا غيرهم ويضربوهم. وهى لذلك تشكل سلوكا عاما للتحرش بغير الإسرائيليين ومضايقتهم والاعتداء عليهم، خاصة لدى المتشددين الذين يفسرون النصوص على عموم ألفاظها ولا يفسرونها فى سياقها التاريخى ونطاقها الواقعى، فيقصروا حكم النص على المديانيين وقتما قيلت الوصية.

وقاعدة الإسرائيليات هذه امتدت إلى بعض المتشددين فى الفكر الدينى المتأثر بالإسرائيليات، فصارت مسلكًا دينيا ومذهبًا شرعيا يدعو إلى مضايقة الغير والتحرش بهم والعدوان عليهم، تقديرا بأن هذا التحرش يثيب صاحبه وان تلك المضايقة تجيز فاعلها وأن ذلك العدوان يقربه إلى الإله.

وقد روى عن النبى ﷺ حديث نصه «إذا لقيتم اليهود والنّصارى فى طريق فاضطروهم إلى أضيقها» أخرجه مسلم، ولم يرد فى صحيح البخارى. وهذا الحديث حديث آحاد، أى رواه واحد عن واحد عن واحد حتى تم تدوينه وليس حديثًا متواترا رواه الصحابة ثم الأتباع ثم

غيرهم، ولا هو حديث مشهور رواه الاتباع بعد عصر الصحابة. والقاعدة فى آحاديث الآحاد انها لا تقيم فروضا دينية قط وإنما هى تصلح للاسترشاد والاستئناس فقط. يضاف إلى ذلك أن العلماء متفقون على أن بعض الأحاديث وقتية، أى خاصة بالوقت الذى قيلت فيه.

يؤكد ذلك أن المسلم الصادق ليحار إزاء الحديث السالف، ويرى أن الأقوم والأصلح أن يتبع ما ورد فى حديث آخر «حق الطريق غض البصر وكف الأذى ورد السلام» أخرجه البخارى. فهذا الحديث هو الذى يدخل فى مفهوم الأخلاقيات الإسلامية التى لا تقر مضايقة الآخرين ولا تجيز التحرش بهم ولا تشرّع العدوان أبدا.

❀❀❀

تلك مقتطفات ومنتخبات من الإسرائيليات، لابد من أن تكون محلا لدراسات علمية وافية، تتكامل بجهود الكثيرين وتتابع فى كل مجال. وليس القصد من هذا البيان أو الدراسة، الإساءة إلى أى جماعة أو النيل من أى فكرة، بل إن الهدف الحقيقى هو تنقية الدين وتصفية الشريعة، حتى تسمو صورة الجلالة وتعلو قيمة العقل. وليس من الصحيح أن يقال إن فحص المسائل بمنهج علمى ومبحث عقلى تقويض للمسلمات وتهديم للموروثات، ذلك بأن الموروثات السليمة والمسلمات الصحيحة لا يمكن أن يحدث لها تقويض أو تهديم. أما إذا طال البحث مسلمات خاطئة أو نال موروثات فاسدة، فإنه يكون من الخير والحق والصواب أن يتقبل المؤمنون الصادقون والعاقلون الراشدون هذا البحث بكل عناية، وأن يولوه ما ينبغى عليهم من دراسة وتقدير.

فهرست

الصفحة

مقدمة ٣

إسلاميات

١ - عذاب القبر..... ٧
٢ - الزكاة والصدقة والضرائب ١٩
٣ - الشريعة وتنظيم النسل..... ٣١
٤ - هل المخدرات محرمة؟..... ٤٣
٥ - عالم الجن وعالم العقل ٥٥
٦ - فقه قتلة البرياء..... ٧١
٧ - الإسلام والديموقراطية ٨٣
٨ - حقيقة الإسلام السياسى ٩٥
٩ - وشهد شاهد!..... ١٠٧
١٠ - حين يسطع الحق! ١١٩
١١ - مفهوم الزمان فى الفكر الدينى ١٣١
١٢ - بين الوطنية والتدين..... ١٤٥
١٣ - الحسبة والإرهاب الفكرى..... ١٥٧

إسرائيليات

١ - حاكمية الله ١٨١
٢ - الإله الرب هو وحده المشرع للناس ١٨٤

الصفحة

٣ – الخلط بين الشريعة والفقه ١٨٨
٤ – الخلاص يكون بتطبيق الشريعة وحدها ١٩٢
٥ – الإسرائيليون هم جماعة الرب، والإله يجمعهم على قلب واحد . ١٩٤
٦ – الحرب بكل ما فيها من فظائع هى لله، وهى أمر الإله وعمله .. ١٩٦
٧ – أى قول وأى فعل من الشخص قد يعد حربًا لله ١٩٧
٨ – لا ولاية لغير اليهودى على اليهودى ١٩٨
٩ – الملوك أنبياء، والأنبياء ملوك..... ٢٠٢
١٠ – الخلط بين الإله الرب وبين ملاك الرب ٢٠٧
١١ – توسيع نطاق الردة الدينية والعقاب عليها بالقتل ٢٠٩
١٢ – مبادىء الأخلاق هى للمؤمنين وحدهم دون باقى الناس، وهى تهدف إلى السيطرة على الآخرين..... ٢١١
١٣ – اعتبار كل حكم وكل أمر وكل رأى فريضة ٢١٣
١٤ – الإله الرب يتآمر على الناس ويقامر على مصائرهم ٢١٥
١٥ – الأسماء تفسر بمدلول خاطىء فى اللغة العبرية ٢١٧
١٦ – حجاب المرأة فريضة ٢١٩
١٧ – اختلاف الإظهار على الاضمار..... ٢٢١
١٨ – اقتطاع النص من السياق التاريخى وتفسيره على عموم ألفاظه... ٢٢٤
١٩ – تحريم الفنون التشكيلية ٢٢٨
٢٠ – مضايقة غير اليهود والتحرش بهم ٢٣٢

رقم الإيداع	١٩٩٩/١١٨٨٥
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5885-5

١/٩٩/٤٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)